

ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية وموافقتها في القرآن الكريم

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف
بجامعة الأزهر

١٩٨٥

دار الثقافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل ممدوح بالفيجالة
ت: ٠٩١٦٠٧٦ القاهرة

ظَاهِرَةُ الْمَجَاوِرَةِ فِي الدِّرَاسَاتِ النَحْوِيَّةِ
وَمَوَاقِعِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف
بجامعة الأزهر

١٩٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله مصرف الأمور على النحو الذى أراد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من نطق بالضاد ، وعلى آله وصحبه الهادين والمرشدين ، والرافعين لقواعد الدين .

وبعد :-

فهناك كثير من المسائل النحوية فى حاجة الى دراسة وتحقيق وتمحيض ، حتى نصل الى الراى الأمثل فيها ، ونبتعد عن كل ما يشوبها من غموض .

ومن القضايا الجديدة بالدراسة والبحث قضية المجاورة ، وقد اهتم النحاة بهذه الظاهرة الى الحد الذى جعل ابن جنى - فى الخصائص - يعقد لها بابا مستقلا تحت عنوان : باب فى المجاورة .

والبحث فى مثل هذه القضية يحتاج الى جهد مضاعف ، نظرا لتفرقتها فى بطون أمهات الكتب ، وتعلقها بالعديد من المسائل النحوية والتصريفية ، بالاضافة الى تعدد آراء العلماء فى ذلك .

فمنهم من أجاز الحكم بالمجاورة ، وجعلها قياسا ، ومنهم من منعها وأول ما أوهم ظاهرة وجودها ، ومنهم من قصرها على المسموع ولم يجز فيها القياس .

وكذا اختلفت آراؤهم فى تطبيق هذه الظاهرة على بعض آيات من القرآن الكريم ، ففريق يرى أن الجر على الجوار واقع فى القرآن وهو كثير ، وفريق آخر يمنع الجر على الجوار فى القرآن ، ويرى ضرورة صونه من هذه الظاهرة .

ولقد عنانى أمر هذه القضية كثيرا ، وشغلنى تحقيقها والبحث
عن الحقيقة فيها . وقد قرأت ما كتب عنها سواء فى كتب النحو والصرف ،
أو فى أمهات كتب التفسير .

وبعد ذلك ذكرت ما قيل حول هذا الموضوع من آراء مؤيدة
ومعارضة ، ورجحت ما ظهر لى رجحانه مؤيدا ما أقول بالدليل .

وقد جعلت البحث فى تمهيد وأربعة فصول :

ذكرت فى التمهيد : تعريف المجاورة لغة واصطلاحا ، وبيان
حركة المجاورة .

أما الفصل الأول فقد جعلته تحت عنوان : موقف العلماء من
القول بالمجاورة .

والفصل الثانى : خصصته للمجاورة فى الدراسات النحوية .
وأدرجت تحته سبعة مباحث :

المبحث الأول : الجر على الجوار فى النعت .

المبحث الثانى : الجر على الجوار فى التوكيد .

المبحث الثالث : الرفع على المجاورة .

المبحث الرابع : المجاورة فى باب الجوازم .

المبحث الخامس : المجاورة فى باب التنازع .

المبحث السادس : المجاورة فى باب الاضافة .

المبحث السابع : المجاورة فى الأحوال والأزمنة .

والفصل الثالث : جعلته للمجاورة فى المسائل التصريفية .
واشتمل على الأمور الآتية :

١ - الجوار بين الواو والكسرة .

٢ - الجوار بين عين الكلمة ولامها .

٣ - قلب الحرف للتناسب .

٤ - قلب الواو المجاورة للطرف همزة •

٥ - مجاورة الواو للضمة •

والفصل الرابع : خصصته للمجاورة فى القرآن الكريم • وأدرجت
تحتة ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجر على الجوار فى العطف •

المبحث الثانى : الجر على الجوار فى النعت •

المبحث الثالث : الجوار بين الواو والضمة •

وبعد ..

فالله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع
به انه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدين ٥

تمهيد

المجاورة فى اللغة :

جاء فى الصحاح (١) : (الجار : الذى يجاورك ، تقول : جاورته
مجاورة وجوارا ، وتجاور القوم واجتوروا بمعنى ، والمجاورة :
الاعتكاف فى المسجد ، وفى الحديث : « كان يجاور فى العشر
الأواخر » (٢) . وامرأة الرجل جارته ، والجار : الذى أجرته من أن
يظلمه ظالم .

قال الهذلى (أبو جندب) :

١ - وكنت اذا جارى دعسا لمضوفة

أشعر حتى ينصف السباق متزرى (٣)

وأجاره الله من العذاب : أنقذه

المجاورة فى الاصطلاح :

يقصد بمصطلح الجر بالمجاورة أن عامل الجر ليس الاضافة
أو حرف الجر ، وإنما مجاورة الاسم لما هو مجرور بالاضافة أو
بحروف .

وهذا هو معنى قول ابن الحاجب (٤) (وقد يوصف المضاف اليه
لفظا والنعت للمضاف اذا لم يلبس ، ويقال له : الجر بالجوار ، وذلك

(١) ٢ : ٦١٧ ، ٦١٨ (جور) .

(٢) انظر صحيح البخارى ٤ : ٢٧١ - طبعة السلفية . وروايته
فى البخارى « كان يعتكف . . . » .

(٣) مضوفة : أى امر ضافة ، أى نزل به وشق عليه ، والمضاف :
الملجأ .

انظر ديوان الهذليين القسم الثالث ص : ٩٢ .

(٤) انظر الكافية بشرح الرضى ١ : ٣١٨ .

للاتصال الحاصل بين المضاف والمضاف اليه ، فجعل ما هو نعت الأول
معنى نعت الثاني لفظاً) •

حركة المجاورة :

حركة المجاورة ليست حركة بناء ولا اعراب ، وانما هي حركة
اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجاورين ، فلا تحتاج لعامل ، لأ
الاتيان بها انما هو مجرد أمر استحسانى لفظى لا تعلق له بالمعنى(٥) •

فـ (خرب) فى قولهم : هذا حجر ضرب خرب - صفة لـ (جحر)
فكان حقه الرفع ولكن جحر لمجاورته الجروز ، فهو مرفوع وعلامة رفعة
ضمة مقدرة علم ، آخره منع من ظهورها اشغال المحل بحركة
المجاورة •

(٥) انظر حاشية الدسوقي على المغنى ٢ : ٣٠٣ •

الفصل الأول

موقف العلماء من القول بالمجاورة

موقف العلماء من القول بالمجاورة

اختلفت كلمة العلماء حول ظاهرة الجر على الجوار ، فمنهم من أجاز هذه الظاهرة ، ومنهم من رفضها .

ومن العلماء الذين أجازوا ذلك سيبويه ، وابن مالك ، وابن أجيروم وابن هشام .

قال سيبويه (١) (ومما جرى نعتا على وجه الكلام « هذا جحر ضب خرب » فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجره ، وليس بنعت للضب ، ولكنه نعت للذي أضيف الى الضب ، فجره لأنه نكرة كالضب ، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد) (٢) .

وقال في موضع آخر من كتابه (٣) : (وقد حملهم قرب الجوار على أن جروا « هذا جحر ضب خرب » ونحوه فكيف ما يصح معناه) ؟

فأنت ترى أن سيبويه ، وإن رأى أن الأفصح هو رفع (خرب) في المثال المتقدم ، وإن هذا هو الذي عليه أكثر العرب وأفصحهم إلا أنه لم يرفض الجر ولم يحكم عليه بالشذوذ أو الغلط .

وقال ابن مالك (٤) في شرح الكافية : (ثم نبهت على النعت الذي يسميه النحويون نعتا على الجوار نحو قولهم (هذا جحر ضب خرب)

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر اللقب بسيبويه ، مات سنة ١٨٨ هـ .

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ .

(٣) ١ : ٦٧ ، ويقصد بقوله (فكيف ما يصح معناه) أن أعمال الثاني في باب التنازع أولى لقربة ووضوح معناه .

(٤) هو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائي توفي سنة ٦٧٢ هـ بدمشق .

فخفض (خرب) لأنه نعت (ضرب) في اللفظ لمجاورته له وإنما هو في المعنى للجحر ، ولا يفعل مثل هذا إلا إذا أمن اللبس(٥) .

وابن أجروم الصنهاجى(٦) في مقدمته المسماة بالأجرومية يتحدث عن ظاهرة الجر ويرى أن له أسبابا أربعة هي الجر بالحرف ، والجر بالاضافة ، والجر بالتبعية ، والجر بالمجاورة(٧) .

وقال ابن هشام(٨) في المغنى : (والذى عليه المحققون أن خفض الجوار يكون في النعت قليلا . ونى التوكيد نادرا ، ولا يكون في النسق ، لأن العاطف يمنع من التجاور)(٩) .

المانعون لهذه الظاهرة :

ممن رفض الجر على الجوار وأول ما أهم ظاهرة وجودها ابن جنى والسيرافى(١٠) .

قال ابن جنى(١١) في الخصائص : (فمما جاز خلاف الاجماع الواقع فيه منذ بدىء هذا العلم ، وإلى آخر هذا الوقت ، ما رأيتنا أنا في قولهم : هذا جحر ضرب خرب فهذا يتناوله آخر عن أول ، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب ، لا يختلفون فيه ، ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذى لا يحمل عليه ، ولا يجوز رد غيره إليه .

وأما أنا فعندى أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفا على ألف

-
- (٥) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١١٦٦ - ١١٦٧ .
(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الصنهاجى نسبة الى صنهاجة قبيلة بالمغرب المشهور بابن أجروم توفى بفاس سنة ٧٢٣ هـ .
(٧) انظر شرح الكفراوى على متن الأجرومية - مطبعة عيسى الحلبي ص : ١١٤ .
(٨) هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصارى مات بالقاهرة سنة ٧٦١ هـ .
(٩) انظر مغنى اللبيب ٢ : ٦٨٣ .
(١٠) يفهم من تأويل ابن جنى والسيرافى للأمثلة التي ظاهرها يفيد الجر على الجوار أنهما يمنعان الحكم بالمجاورة .
(١١) هو أبو الفتح عثمان ابن جنى توفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ .

موضع • وذلك أنه على حذف المضاف لا غير ، فإذا حملته على هذا الذى هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل •

وتلخيص هذا أن أصله : هذا جحر ضب خرب جحره ، فيجرى (خرب) وصفا على (ضب) وإن كان فى الحقيقة للجحر ، كما تقول : مررت برجل قائم أبوه ، فتجرى (قائما) وصفا على (رجل) ، وإن كان القيام للأب لا للرجل لما تضمن من ذكره (١٢) •

والأمر فى هذا أظهر من أن يؤتى بمثال له ، أو شاهد عليه ، فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف الى الهاء ، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت ، لأن المضاف المحذوف كان مرفوعا ، فلما ارتفعت استقر الضمير المرفوع فى نفس (خرب) فجرى وصفا على (ضب) وإن كان الخراب للجحر لا للضب على تقدير حذف المضاف على ما رأينا • وقلت آية تخلو من حذف المضاف ، نعم وربما كان فى الآية الواحدة من ذلك عدة مواضع •

فإذا أمكن ما قلنا ، ولم يكن أكثر من حذف المضاف الذى قد شاع واطرد كان حملة عليه أولى من حملة على الغلط الذى لا يحمل غيره عليه ، ولا يقاس به (١٣) •

وقال السيرافى (١٤) : (رأيت بعض النحويين من البصريين قال فى « هذا جحر ضب خرب » قولا شرحتة وقويته بما يحتمله زعم هذا النحوى ، أن المعنى : هذا جحر ضب خرب الجحر •

(١٢) أى ضميره يريد أن المسوخ لمجىء قائم وصفا للرجل وهو ليس بوصف له فى الحقيقة بل الموصوف حقيقة الأب هو تضمن الأب ذكر الرجل •

(١٣) انظر الخصائص ١ : ١٩١ •

(١٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله نسا بسيراف من بلاد ، وتوفى ببغداد سنة ٣٦٨ هـ •

(١٥) يعنى ابن جنى ، فلا ضمير أن يكون رأى ابن جنى عرف فى حياة السيرافى ، واستحق منه العناية بذكره ، فقد تعاصرا دهرًا ، لأن السيرافى مات سنة ٣٦٨ هـ ، وابن جنى سنة ٣٩٢ هـ •

والذى يقوى هذا انا اذا قلنا : خرب الجحر صار من باب حسن الوجه ، وفى خرب الجحر مرفوع ، لأن التقدير : خرب جحره ، ومثله ما قاله النحويون : مررت برجل حسن الأبوين لاقبحين(١٦) .

والأصل فى مثال السيرافى المتقدم : مررت برجل حسن الأبوين لا قبيح أبواه ، ثم جعل فى (قبيح) ضمير الأبوين قثنى لذلك ، وأجرى على الأول فخفض .

وقد اعترض أبو حيان وابن هشام على ما ذهب اليه ابن جنى والسيرافى .

قال أبو حيان(١٧) : (ومذهبها خطأ من غير ما وجه ، لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصصا بالضب ، والضب مخصص بخراب الجحر المخصص بالاضافة الى الضب .

فتخصيص كل منهما متوقف على صاحبه وهو فاسد للدرر ، ولا يوجد ذلك فى كلام العرب ، أعنى لا يوجد مررت بوجه رجل حسن الوجه ، ولأنه من حيث أجرى (الخرب) صفة على (الضب) لزم ابراز الضمير لئلا يلتبس .

ولأن معمول هذه الصفة لا يتصرف فيه بالحذف لضعف عملها فأما قول الشاعر :

٢ - ويضحك عرفان الدروع جلودنا

إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف

فلا يريد كاسف الشمس ، فيكون قد حذف معمول الصفة وان كان قد ذهب اليه بعضهم .

وانما هو عندنا صفة لليوم نفسه ، لأن الكسوف يكون فيه ، فيكون نحو قولهم : نهارك صائم ، وليلك قائم ، ولأن هذه الصفة لا يجوز نقل الضمير اليها حتى يصح نسبتها الى الموصوف على طريق الحقيقة .

(١٦) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ .

(١٧) هو محمد أثير الدين يوسف الغرناطى توفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ .

ألا ترى أنه لا يصح عندنا مررت برجل حائض البنت ، لأن الحيز
لا يكون للرجل ، وكذلك (الخرب) لا يكون للضب) (١٨) .

وقال ابن هشام فى المغنى (١٩) : (ويلزمها استتار الضمير مع
جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لا يجوز عند البصريين وان
أمن اللبس ، وقول السيرافى : ان هذا مثل : مررت برجل حسن الأبوين
لا قبيحين مردود ، لأن ذلك انما يجوز فى الوصف الثانى دون
الأول) .

ومعنى قول ابن هشام المتقدم أن قياس (خرب) من قولهم : هذا
جر ضب خرب على (قبيحين) يعد قياسا مع الفارق ، لأن (خرب) ليس
وصفا ثانيا مثل (قبيحين) والذى جرى عليه الاضمار والحذف والجر
على الجوار انما هو الوصف الثانى وهو (قبيحين) كما تقدم أثناء
شرحنا لأصل هذا المثال .

ولو أن السيرافى وابن جنى قصرا مثل هذه الأساليب الواردة
عن العرب على السماع ، وعدم جواز القياس فيها ، لكان هذا أقرب
وأيسر من هذا الغموض .

وقد تقدم أن سيبويه قد ذكر فى كتابه أن الوجه فى (خرب) هو
الرفع ، وهو كلام أكثر العرب ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ،
وعلى هذا يكون الأمر ظاهرا وواضحا وهو أن الرفع أجود وأفصح من
الجر ، لأن الرفع هو لغة أكثر العرب ، وأما الجر وان كان واردا
فهو دون الأفصح ، فيكون مقصورا على السماع ، وبهذا نخرج من دائرة
التأويل والحذف والاضمار .

المجاورة ووقوعها فى القرآن :

ورود الجر على الجوار فى القرآن أو عدمه محل خلاف بين
العلماء ، فمنهم من أجاز ، ومنهم من رفض .

وسنتعرف على أقوال هؤلاء العلماء مفصلة عند الكلام على الفصل

الخاص بالمجاورة فى القرآن الكريم .

(١٨) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ .

(١٩) انظر مغنى اللبيب ٢ : ٦٨٤ .

الفصل الثاني

المجاورة في الدراسات النحوية

المبحث الأول

الجر على الجوار في النعت

شروط الجر على الجوار عند الحسين :

اشترط الخليل (١) - رحمه الله - لجواز الجر على الجوار توافق المضاف والمضاف اليه افرادا وتثنوية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ، وتعريفا وتذكيرا .

قال في الكتاب (٢) : (لا يقولون الا « هذان جحرا ضب خريان » (٣) من قبل أن الضب واحد ، والجحر جحران .

وانما يغلطون اذا كان الآخر بعدة الأول ، وكان مذكرا متلها او مؤنثا ، وقالوا : هذه جحرة (٤) ضباب خرية ، لأن الضباب مؤنثة ، ولأن الجحرة مؤنثة والعدة (٥) واحدة فغلطوا (٦) .

واما سيبويه فهو يجيز الجر على الجوار سواء اتفق المضاف اليه في الافراد والتثنوية او لم يتفقا ، فهو يجيز « هذا جحر ضب خر » لاتفاق المضاف والمضاف اليه في الافراد ، ولوروده عن العرب هكذا ، ويجيز - أيضا - « هذان جحرا ضب خريين » بجر (خريين) مع أن

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي مات بالبصرة سنة ١٧٥ هـ .

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ .

(٣) فلا يجوز عند الخليل (خريين) بالجر على الجوار ، لعدم اتفاق المتضايقين في التثنوية .

(٤) الجحرة جمع جحر ، ويجمع أيضا على أبحار .

(٥) العدة : الجماعة ، وعدة المرأة أيام أقرانها ، والمراد بها

هنا اتفاق المتضايقين في الدلالة على الجمع .

(٦) أي جعلوا (خرية) صفة لـ (ضباب) فجروها ، وان كان حقها

الرفع ، لأنها صفة لـ (جحرة) المرفوعة ، وصح ذلك الغلط ، لاتفاق المتضايقين في الدلالة على الجمع .

المضاف هو (جحرا) مثنى ، والمضاف اليه وهو (ضرب) مفرد . ويرى
أنه لا فرق بين الثانى والأول الا فى البيان . وأما الاتفاق بين المضاف
والمضاف اليه فى الجمع فلا يشترطه سيبويه .

قال سيبويه فى الكتاب (٧) : (وهذا قول الخليل - رحمه الله -
ولا نرى هذا (٨) والأول (٩) الا سواء ، لأنه اذا قال : هذا حجر ضرب
متهدم ، ففيه من البيان انه ليس بالضرب مثل ما فى التثنية من
البيان) (١٠) .

ومما نقدم نعلم أن سيبويه قد أجاز الجر على الجوار عند اختلاف
المتضايفين فى التثنية ، فهو يقبل : هذان جحرا ضرب خربين ، بجر
(خربين) بخلاف الخليل . فإنه لم يجز فى (خربين) الا الرفع .
والخليل يرى أنه يلزم لصحة الجر على الجوار اتفاق المتضايفين
فى الجمع ، ولم يجز ذلك سيبويه .

والخليل يشترط توافق المتضايفين فى التذكير والتانيث ، وسيبويه
لا يشترط ذلك .

وذهب ابن الحاجب (١١) فى كافيته (١٢) الى أن سيبويه استشهد
- على جواز التخالف بين المتضايفين فى التذكير والتانيث - بقول
الخطيئة :

٣ - فاياكم وحيية بطسن واد هموز الناب ليس لكم بسى (١٢)
فان (هموز) نعت لـ (حيية) المنصوبة ، وجر لجاورته لاحد
الجرورين وهو بطن أو واد .

(٧) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ .

(٨) وهو قول الخليل : « هذان جحرا ضرب خربان » .

(٩) وهو : هذا حجر ضرب .

(١٠) يريد أن تثنية المضاف تفيد أن الجحر جحران ، والضرب
واحد ، وأما فى الافراد ، فالضرب واحد ، والجحر واحد ، وهذا هو
الفرق بين التثنية والافراد .

(١١) هو أبو عمرو عثمان جمال الدين المشهور بابن الحاجب توفى
بالاسكندرية سنة ٦٤٦هـ .

(١٢) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ١ : ٣١٨ .

وعينه ابن جنى فى شرح تصريف المازنى ، فقال (١٤) : (جر هموز) وهو من صفة الحية بلجاورته لواد) .

وقد اختلف المضاف والمضاف اليه تذكيرا وتانيثا ، فان (حية) مؤنثة وما بعدها مذكر .

وقيل : ان كلا من الحية وما بعدها مذكر ، أما الحية فقد قال صاحب الصحاح (١٥) .

(الحية تكون للذكر والأنثى ، وانما دخلته الهاء ، لأنه واحد من جنس ، كبطلة ودجاجة ، على أنه قد روى عن العرب : رأيت حيا على حية ، أى ذكرا على أنثى ، وفلان حية ذكر) .

وأما (البطن) فقد قال صاحب الصحاح (١٦) - أيضا : (البطن خلاف الظهر وهو مذكر ، وحكى أبو حاتم عن أبى عبيدة أن تانيثه لغة) .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدعى توافق المضاف والمضاف اليه تذكيرا بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ، وكذلك (هموز) فانه (فعل) يوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم الا ان يكتفى بالتخالف بالتانيث والتذكير اللفظيين .

(١٣) (اياكم) مصدر و (حية) مصدر منه ، وهما منصوبان بملين ، أى بعدوا أنفسكم ، واحذروا الحية ، فيكون العطف من قبيل عطف الجمل ، الأولى تشتمل على جملة المحذر ، والثانية تشتمل على جملة المحذر منه . وأراد الحطية بالحية نفسه . والمعنى : أنه يحمى ناحيته ، ويتقى منه ، كما يتقى من الحية الحامية لبطن واديها المانعة منه .

والوادى : المطمئن من الأرض . والهموز : فعول من الهمز بمعنى الغمز والضغط . (ليس لكم بسى) أى لا تستقون معه بل هو أشرف منكم ، يقال : فلان سى فلان اذا كان مثله .

انظر الديوان ص : ١٣٩ - الخزانة ٢ : ٣٢٦ - المنصف ٢ : ٢ .

(١٤) انظر المنصف ٢ : ٢ .

(١٥) انظر الصحاح ٦ : ٢٣٢٤ (حيا) .

(١٦) الصحاح ٥ : ٢٠٧٩ (بطن) .

والواقع أن سيبويه لم يستشهد بالبيت المتقدم ، وإنما استشهد
بقول العجاج :

٤ - كأن نسج العنكبوت المرمل (١٧)

ووجه الاستدلال به أن (العنكبوت) مؤنث و (الرممل) مذكر ، لأنه
وصف للنسيج وقد اختلفا تأنيثاً وتذكيراً .

والخليل أن يمنع هذا أيضاً فإن (العنكبوت) قد جاء مذكراً
- أيضاً - وقد نقل ذلك عن العرب ، قال الشاعر :

٥ - على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها (١٨) .

وعلى تسليم أنها في البيت مؤنثة ، فإنه تأنيث ليس بعلامة إذ
ليس مؤنثاً بالتاء ولا باحدى الألفين المقصورة أو المدودة ، فأشبهه
التذكير إذ لم يظهر فيه من التنافر ما يظهر في التثنية ، فإذا صح أن
تقول : هذان جحراً ضرب خريبين ، مع اختلاف المتضايقين في التثنية ،
فليصح هنا من باب أولى .

وكل ما تقدم من خلاف بين سيبويه والخليل إنما هو على رواية
(الرممل) بفتح الثانية - وأما على رواية (الرممل) بكسر الميم ، فهي نعت
للعنكبوت على ما يجب ، والمعنى : العنكبوت الناسج ، لأن (الرممل)
بفتح الميم الثانية معناه المنسوج وليس من صفات العنكبوت .

(١٧) وبعده : على نرى قلامة المهمل

سبب كتان بأيدي الغسل

(الرممل) معناه المنسوج - والقلام : ضرب من النبات - المهمل :
المدلى . والسبب : جمع سب وهو ثوب من كتان أبيض - والغسل :
جمع غاسل وغاسلة .

والمعنى : أن العنكبوت قد نسجت على القلام الذي حول هذا
الماء ، والشاعر قد شبه ما نسجت العنكبوت على هذا الماء بثوب رقيق
من الكتان .

انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ - شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١ : ٤٩٥

الديوان ص : ٢٤٣ - الخزانة ٢ : ٣٢١ .

(١٨) (هطال) : جبل . وانظر معاني الفراء ٢ : ٣١٧ .

وقول من ذهب الى أن الجوار لا يكون الا مع النكرة مردود بقول
ابى ثروان(١٩) : (كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك بخفض
(اللعروف) على الجوار(٢٠) .

ومن أمثلة الجر على الجوار فى النعت قول ذى الرمة :

تريك سنة وجهه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب(٢١)

فـ (غير) نعت لـ (سنة) المنصوبة ، وجر للمجاورة .

قال الفراء(٢١) : (قلت لأبى ثروان ، وقد أنشدنى هذا البيت
بخفض : كيف تقول : تريك سنة وجهه غير مقرفة ؟ قال : تريك سنة وجهه
غير مقرفة . قلت له : فأنشده فخفض (غير) فأعدت القول عليه ، فقال :
الذى تقول أنت أجود مما أقرسنا ، وكان انشاده على الخفض(٢٣) .

وقال دريد بن الصمة :

٦ - فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

(١٩) هو أبو ثروان ، أحد بنى عكل ، واسمه الوحشى ، وهو
أعرابى فصيح تعلم فى البادية ، وله من الكتب : خلق الفرس ، وكتاب
معانى الشعر . انظر معجم الأدباء ٧ : ١٤٨ .

(٢٠) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٣ .

(٢١) السنة : الصورة - الندب : الأثر من الجراح ، وقوله :
غير مقرفة أى غير هجنة عفيفة كريمة . وفى الصحاح : المقرف كمحسن
من الفرس وغيره : ما يدانى الهجنة ، أى أمة عربية لا أبوه ، لأن الاعتراف
من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم .

انظر الديوان ص : ٨ - معانى الفراء ٢ : ٧٤ - الخزانة
٢ : ٣٢٤ .

(٢٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الملقب بالفراء توفى ببغداد
سنة ٢٠٧ هـ .

(٢٣) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٤ .

فدافعت عنه الخيسل حتى تبسدت
وحتى علاني حالك اللون أسود(٢٤)

و (أسود) نعت لحالك ، وجر لجاورته المجرور .

وقال امرؤ القيس :

٧ - كان أبانا في عرانيين ويله كبير أناس في بجاد مزمل(٢٥)

وكان يجب أن يقول : مزمل - بالرفع - ، لأنه نعت لكبير المرفوع
الا أنه ذفضه على الجوار .

وقال ابن جنى في الخصائص(٢٦) : (ولم يحمل أبو على هذا
البيت على الغلط ، لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف الجر فارتفع
الضمير فاستقر في اسم المفعول) .

(٢٤) تنوشه : تناوله - الصياصي : جمع مفردة صيصية ، وهي
شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة (بضم اللام) وهما نوعان
من الثياب .

والمعنى : أن أخاه دعاه والرمح تناوله ، ولها خشخشة ووقع كوقع
صياصي الحاكة في ثوب ينسج ، والنسيج الثياب المنسوجة .
وروى البيت برفع (أسود) وعلى هذا يكون في البيت اقواء ، وهو
اختلاف حركة الروي .

وخرجه علماء اللغة على أن الأصل هو (أسودي) ، كما قيل في
الأحمر : أحمرى ، وفي الدوار : دوارى ، قال العجاج :

أطريا وأنت قنسرى والدهن بالانسان دوارى
ثم خفضت ياء النسبة المشددة بحذف أحد الياءين ، وهي الأولى ،
وجعل الثانية صلة .

انظر ديوان دريد ص : ٤٨ - الخزانة ٢ : ٣٢٣ - شرح الحماسة
للبريزي ٣ : ٣٠٧ .

(٢٥) ثبير : جبل - العرانيين : الأوائل ، والأصل في هذا أنه يقال
للأنف عرئين ، والوبل والوابل : ما عظم من القطر - البجاد : الكسا
المخطط - المزمل : الملفف .

شبه الحبل في الأوائل الوبل ، وهو المطر الشديد الوقع ، العظم
القطر بكبير قوم متلفف بكساء .

١. احم الخزانة ٢ : ٣٢٧ - الخصائص ١ : ١٩١ - شرح القصائد
التسم للتحاس ١ : ١٩١ .

(٢٦) ١ : ١٩١ .

وفى الأمالى (٢٧) : ولولا تقدير فيه ما هنا لوجب رفع (مزمّل) على الوصف لكبير ، وتقدير فيه أمثل من حمل الجر على المجاورة .

وقال فى الخزانة (٢٨) : (قوله (مزمّل) أنجز لمجاورته لأناس تقديرا لا لـ (بجاد) لتأخره عن (مزمّل) فى الرتبة ، فالمجاورة هنا تقديرية) .

-
- (٢٧) انظر الأمالى الشجرية ١ : ٩٠ .
 - (٢٨) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٧ .

المبحث الثاني

الجر على الجوار في التوكيد

الخفض على الجوار يكون في التوكيد نادرا ، ومن ذلك قول أبي الغريب (١) :

يا صياح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب (٢)

والشاهد : جر كلمة (كلهم) مع أنها توكيد لكلمة (ذوى) المنصوبة ،
ان لو كانت توكيدا لكلمة (الزوجات) لقال : كلهن ، فكان حق (كلهم)
النصب ، ولكنه خفض لجاورة المخفض .

وقال الفراء (٣) (أنشدني أبو الجراح العقيلي :

٨ - يا صياح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب
فاتبع (كل) خفض (الزوجات) وهو منصوب ، لانه نعت لذوى) .

(١) هو أعرابي أدرك دولة العباسيين .
(٢) صياح : منادى مرخم أصله ياصاحب ، و (كلهم) توكيد لذوى
منصوب بفتحة مقدرة منعاً من ظهورها كسرة المجاورة . عرا الذنب :
عروق الذكر .
والمعنى : ان ترك الأزواج الجماع ، لضدغهم ، نحينئذ لا يوجد
وصل من الزوجات لهم .
انظر معاني الفراء ٢ : ٧٥ - الخزانة ٢ : ٣٢٥ - الهمع ٤ : ٣٠٤ -
شذور الذهب ص : ٢٦١ .
(٣) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٥ .

وأما البدل ، فلم يقل أحد بالجر على الجوار فيه ، قال أبو حيان (٤) .
ولم يحفظ من كلامهم ما يفيد ذلك ، ولم يخرج أحد شيئاً ، وسببه أنه
معمول لعامل آخر غير العامل الأول على الأصح ، أى أن البدل على نية
تكرير العامل . ولذلك يجوز اظهاره إذا كان حرف جر باجماع ، فبعدت
مراعاة المجاورة ، ونزل منزلة جملة أخرى) .

(٤) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ .

المبحث الثالث

الرفع على المجاورة

الرفع على المجاورة غير وارد عند جمهور النحاة ، الا أن بعضهم قد أثبتته مستدلا على ذلك بقول المتنخل الهذلي :

٩ - السالك الثغرة اليقظان كالثها

مشى الهلوك عليها الخيعل الفضل (١)

(فقد سأل الرياشي الأصمعي (٢) عن سبب ارتفاع (الفضل) ، فرد عليه قائلا : ان (الفضل) نعت (الخيعل) وهو مرفوع .

وأصله أن المرأة الفضل هي التي تكون في ثوب واحد ، فجعل (الخيعل) فضلا ، لأنه لا ثوب فوقه ، ولا تحته .

(١) البيت من قصيدة للمتنخل الهذلي رثى بها ابنه أثيلة وقبلة :
فقد عجبت وما بالدهر من عجب أنى قتلت وأنت الحازم البطل
قوله (أنى قتلت) أى كيف قتلت ، و (الثغرة) والثغر بمعنى واحد وهو موضع المخالفة . و (كالثها) حافظها و (الهلوك) من النساء التي تتهاك في مشيتها أى تتبختر وتتكسر ، وقيل : الهلوك : الفاجرة التي تتواقع على الرجال . و (الخيعل) القميص الذي لا كمي له ، ويقال : امرأة فضل إذا كان عليها قميص ورداء ، وليس عليها أزار ولا سراويل ، والمعنى : أنت الذي من شأنه سلوك موضع المخافة دون رهبة كالمرأة المتبخترة الفضل .

والثغرة منصوبة ، والعامل فيها (السالك) كقولك : الضارب الرجل ، وجوز فيها الخفض كقولك : الضارب الرجل ، على التشبيه بالحسن الوجه ، وإذا نصبت الثغرة أو خفضتها أجريت عليها اليقظان صفا فنصبت أو حررتة ، وارتفع به كالثها ، جاز ذلك لعودة الضمير اليه ، وقوله (مشى الهلوك) منصوب بتقدير مشى مشى الهلوك .
وقوله (عليها الخيعل) حال معمولة لتمش ، أو جملة اعتراضية .

أحسم دده ان الهذلي - القسم الثالث - ص : ٣٤ - الأمثال

الشمسية ٢ : ٣٠ ، ما بعدها .

(٢) انظر خزائن الأدب ٢ : ٣٢٨ .

قال الرياشي: وهذا مما أخذ على الأصمعي ، ثم رجع عن هذا القول ، وقال بعد ، هو من نعت (الهلوك) لأنه رفعة على الجوار ، كما قالوا : هذا جحر ضب خرب) .

ومثل ذلك في العطف قراءة الحسن(٣) « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعون » .

عطف الملائكة والناس على اسم الله على المعنى ، لأن التقدير : عليهم أن لعنهم الله .

ومثل رفع (الفضل) على النعت للهلوك رفع (المظلوم) على النعت للمعقب في قول لبيد يصف الحمار :

١ - حتى تهجر في السواح وهاجها

طلب المعقب حقه المظلوم (٤)

والمعقب : الذي يطلب حقه مرة بعد مرة(٥) .

وفال ابو حيان(٦) : (قال بعض معاصرينا : اكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجور ، وقد جاء في المرفوع ، وانشد البيت المتقدم ، ثم قال : رمعوا (الفضل) اتباعا لما قبله ، لقريه .

(٣) آية : ١٦١ من سورة البقرة ، وانظر قراءة الحسن في معاني الفراء ١ : ٩٦ .

(٤) تهجر : سار في وقت الهاجرة ، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر - الرواح : هو الوقت من زوال الشمس الى الليل ، ويقابله الغدو - هاجها : ازعجها - المعقب : الذي يطلب حقه مرة بعد أخرى - المظلوم : الذي مطله المدين بدين عليه له .

والمعنى : يقول : ان هذا الحمار الوحشي قدعجل رواحه الى الماء وقت اشتداد الهاجرة ، وازعج الأتان ، وطلبها الى الماء مثل طلب الغريم الذي مطله مدين له ، فهو يلح في طلبه المرة بعد الأخرى .

والشاهد فيه (طلب المعقب . . المظلوم) حيث أضاف المصدر وهو (طلب) الى فاعله وهو - المعقب - ثم أتبع الفاعل بالنعت وهو (المظلوم) وجاء بهذا التابع مرفوعا نظرا الى المحل .

انظر معاني الفراء ٢ : ٦٦ ، والأمالى الشجرية ٢ : ٢٢ .

(٥) انظر قول ابن الشجري المتقدم في أماليه ٢ : ٣٠ وما بعدها .

(٦) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٩ .

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر اتباعا للخيعل بل رفعه على النعت للهلوك على الموضع ، لأن معناه ، كما تمشى الهلوك الفضل ، و (عليها الخيعل) حال معمولة لتمشى ، أو جملة اعتراضية) .

وقال ابن قتيبة(٧) : التفرغ والتفرغ سواء وهو موضع المخالفة ، والكاليء : الحافظ ، والخيعل : ثوب يخاط أحد جانبيه ، ويترك الآخر ، والهلوك : المتثنية المتكسرة ، والفضل من صفة الهلوك ، وكان ينبغي أن يكون جرا ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل(٨) .

موقف الجمهور :

لم يسلم جمهور النحاة ما ذهب إليه هؤلاء العلماء من جواز الرفع على المجاورة ، وممن تصدى للرد عليهم ابن الشجري ، وأبو حيان .

قال ابن الشجري(٩) : (وزعم بعض من لا معرفة له بحقائق الاعراب بل لا معرفة له بجملة الاعراب ان ارتفاع (الفضل) على المجاورة للمرفوع فارتكب خطأ فاحشا .

وانما (الفضل) نعت للهلوك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذي هو المشى اليها كقولك : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرا .

رفعت الطويل ، لأنه وصف لفاعل الضرب ، وان كان مخفوضا في اللفظ .

ولو قلت : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرو فنصبت الطويل بانه نعت لزيد على معناه من حيث هو مفعول في المعنى كان مستقيما ، كما عطف الشاعر عليه المنصوب في قوله :

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري توفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ .
(٨) انظر الخزانة ٢ : ٣٢٨ .
(٩) هو أبو السعادات هبة الله بن علي الشريف البغدادي توفي ببغداد سنة ٥٤٢هـ .

١١ - قد كنت داينت بها حسانا

مضافة الا فلاس والليانا (١٠)

ومما تقدم نعلم ان الراى الراجيح فى ذلك هو راى الجمهور ، وهو
عدم جواز الرفع على المجاورة ، وأما رفع (الفضل) فى البيت المتقدم
فمحمول على المحل ، لأنه صفة لـ (هلوك) كما تقدم ، وهو كثير وسائغ
عن جمهور النحاة .

(١٠) نسب فى الكتاب الى رؤية ، وذكر العينى انه ينسب ايضا
الى زياد العنبرى .
و « داينت بها » اخذتها بدلا عن دين لى عنده ، والضمير فى (بها)
يعود الى أمة (الليان) بفتح اللام وتشديد الياء : المثل واللى والتسويق
فى قضاء الدين .
والمعنى : كنت قد اخذت هذه الأمة من حسان بدلا عن دين لى
عنده ، لخافتى أن يفلس ، أو يمطلنى فلا يؤدينى حتى .
والشاهد فيه : قوله (والليانا) حيث عطفه بالنصب على (الافلاس)
الذى اضيف المصدر اليه ، نظرا الى محله .
انظر الكتاب ١ : ١٩١ - الأملى الشجرية ٢ : ٣١ .

المبحث الرابع

المجاورة فى باب الجوازم

عامل الجزم فى جواب الشرط :

• ذهب الكوفيون الى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار .

واختلف البصريون ، فذهب الأكثرون الى أن العامل فيهما حرف

الشرط .

• وذهب آخرون الى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه .

• وذهب آخرون الى أن حرف الشرط يعمل فى فعل الشرط ، وفعل الشرط

يعمل فى جواب الشرط (١) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا انه مجزوم على

الجوار ، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له ، لا يكاد ينفك

عنه ، فلما كان منه بهذه المنزلة فى الجوار حمل عليه فى الجزم ، فكان

مجزوما على الجوار .

والحمل على الجوار كثير قال الله تعالى « لم يكن الذين كفروا من

اهل الكتاب والشركين » (٢) .

وجه الدليل أنه قال (والمشركين) بالخفض على الجوار ، وان كان

معطوفا على (الذين) فهو مرفوع ، لأنه اسم يكن .

وقال زهير :

١٢ - لعب الرياح بها وغيرها بعدى سوافى المور والقطر (٢)

(١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٢ .

(٢) البيهقي : ١ .

(٣) السوافى : جمع سوافية : وتطلق على الريح الى تسفى

التراب ، ويقال أيضا على التراب الذى تسفيه الرياح ، أى تذروه وتطيره

وتهيجه . والمور - بضم الميم - هو التراب - والقطر :

فخفض (القطر) على الجوار ، وان كان ينبغي أن يكون مرفوعا ،
لأنه معطوف على (سوافى) ، ولا يكون معطوفا على (المور) وهو
الخبير ، لأنه ليس للقطر سواف كالمور حتى يعطفه عليه .

(ولو عطف على (المور) للزم أن يكون معمولا لسوافى ، لأن العامل
فى المعطوف هو العامل فى المعطوف عليه ، ويلزم أن يكون تقدير الحسم :
سوافى المور وسوافى القطر .

ومراد الشاعر ان الذى غير هذه الديار شيئا : أحدهما - الرير
اسى نسفى عليها التراب ، وثانيهما المطر ، وهذا المعنى لا يتأتى له بـ
يدون (المطر) معطوفا على سوافى مع انه ليس للمطر سواف ، فيكون
مرفوعا فى التقدير ، وجره لمجاورته المجرور ، فنقول : القطر معطوف
على سواف والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلافة رفعه ضمة مفردة
على اخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة(٤) .

وقال الآخر :

١٢ - كأنما ضربت قدام أعينها

قطننا بمستحصد الأوتار محلولج(٥)

هو المطر .

انظر الديوان ص : ٨٦ ، والانصاف ٢ : ٦٠٣ .

(٤) شرح شواهد الانصاف ٢ : ٦٠٣ للشـيخ محيى الدين

عبد الحميد .

(٥) (مستحصد الأوتار) من اضافة الصفة للموصوف ، أى

الأوتار المستحصدة ، ومستحصد - بكسر الصاد - اذا كان قد أحكم

قتله وصنعتة ، وهذا اللفظ يقال فى كل ما أحكمت صناعته من الحبال

والأوتار والدروع ، وقالوا : هذا رجل محصد الرأى ، أى سديد الرأى ،

وقالوا : هذا رأى مستحصد ، أى محكم وثيق وهو فى هذا بفتح الصاد .

ومحلوج : اسم مفعول من قولهم : حلج القطن يحلجه اذا ندفه ، وقطن

حليج ومحلولج : مندوف ، أى قد استخرج منه الحب ، وصانع ذلك هو

الحلاج كالعطار والقصاب .

انظر معانى الفراء ٢ : ٧٤ - الانصاف ٢ : ٦٠٥ .

(م ٣ - دراسات نحوية)

فخفض (محلوج) على الجوار ، وكان ينبغي ان يقول (محلوجا)
لكونه وصفا لقوله (قطنا) ولكنه خفضه على الجوار .

وقال لبيد :

كان نسيج العنكبوت المرمل (٦)

فخفض (المرمل) على الجوار ، وكان ينبغي ان يقول : (المرملا)
لكونه وصفا للنسيج ، لا للعنكبوت .

ومن ذلك قولهم : جحر ضب خرب ، فخفضوا خربا على الجوار .
وكان ينبغي ان يكون مرفوعا ، لكونه فى الحقيقة صفة للجحر لا للضب .
فكذلك ها هنا : جواب الشرط كان ينبغي ان يكون مرفوعا الا انه جزم
للجوار ، ولهذا اذا حلت بينه وبين فعل الشرط بالفاء او باذا رجع
الى الرفع (٧) .

الجواب عن كلمات الكوفيين :

أما احتجاجهم بقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين » فلا حجة لهم فيه ، لان قوله (والمشركين) ليس معطوفا على
(الذين كفروا) وانما هو معطوف على قوله (من أهل الكتاب) منخلة
الجر ، لأنه معطوف على محرور ، لا على الجوار .

وأما قول زهير :

بعدي سوافى المور والقطر

فلا حجة لهم فيه ، لأنه معطوف على (المور) وهو الغبار ، ونزلهم
« لا يكون معطوفا على (المور) لأنه ليس للقطر سواف » قلنا : يجوز
أن يكون قد سمي ما تسفيه الريح منه وقت نزوله سوافى ، كما يسمى
ما تسفيه الريح من الغبار سواف .

(٦) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٤)

(٧) الانصاف ٢ : ٦٠٥ ، ٦٠٧ .

وأما قول لبيد :

كان نسيج العنكبوت المرمل

فنقول : الرواية (المرمل) بكسر الميم - فيكون من وصف العنكبوت .
لا النسيج ، وان كانت الرواية الى ذكرتم صحيحة ، وأنه مجرور على
الجوار ، الا انه لا حجة فيه ، لأن الحمل على الجوار من الشاذ الذي
لا يعرج عليه .

وكذلك قوله :

قطننا بعسنمصد الأوتار محلوج

وقولهم : جحر ضب خرب ، محمول على الشذوذ الذي يقتصر
فيه على السماع لقلته ، ولا يقاس عليه ، لأنه ليس كل ما حكى عنهم
يقاس عليه ، الا ترى أن اللحياني (٨) حكى أن من العرب من يجزم بلن
وينصب بلم ، الى غير ذلك من الشواذ الى لا يلتفت اليها ولا يقاس عليها ،
فكذلك ها هنا (٩) .

وقال ابن مالك في شرح التسهيل (١٠) : (اختلف في الجازم لجواب
الشرط فقال الكوفيون : هو مجزوم على الجوار ، كجحر ضب خرب من
قولهم : هذا جحر ضب خرب ، وهو باطل لأمر :

أحدها - أن الخفض على الجوار لا يكون الا بعد مجرور .

ثانيها - أن الخفض على الجوار لا يكون الا مع الاتصال ، وج

الجواب يكون مع الاتصال والانفصال .

فعلم أنه ليس مجزوما على الجوار) .

(٨) هو على بن حازم اللحياني من تلاميذ الكسائي ، صنف كتاب

النسوان .

(٩) الانصاف ٢ : ٦٠٩ - ٦١٥ .

(١٠) انظر شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك -
نسخة مصورة على الميكروفيلم موجودة في المكتبة المركزية بالجامعة
الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) .

وأنا أرجح ما ذكره الشيخ محيي الدين عبد الحميد - رحمه الله -
تعليقا على هذه المسألة حيث قال (١١) : (والتحقيق فيه عندى أن يقال :
أن (أن) هو العامل فى جواب الشرط بواسطة فعل الشرط ، لأنه لا ينفك
عنه ، فحرف الشرط يعمل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط ، لا به ،
كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب ، فالتسخين إنما
حصل عند وجودهما لا بهما ، لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها ،
فكذلك ها هنا ، (أن) هو العامل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط
لا أنه عامل معه) .

(١١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٨ .

المبحث الخامس

المجاورة في باب التنازع

القول في أولى العاملين بالعمل في باب التنازع :

- ذهب الكوفيون في أعمال العاملين ، نحو « أكرمني وأكرمت زيدا ، وأكرمت وأكرمني زيد » الى أن أعمال الفعل الأول أولى .
- وذهب البصريون الى أن أعمال الفعل الثاني أولى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : (الدليل على أن أعمال الفعل الأول أولى النقل والقياس .

- أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيرا ومنه قول امرئ القيس .

١٤ - فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة

كفاني - ولم أطلب - قليل من المال (١)

(١) محل الاستشهاد بالببيت في قوله (كفاني ولم أطلب قليل من المال) فإن الكوفيين زعموا أن هذا البيت من باب التنازع ، لتقدم فعلين على اسم واحد ، وقد عمل الشاعر أول الفعلين ، وهو قوله (كفاني) في الاسم المتأخر فرفعه ، والدليل على ذلك أنه لو عمل الثاني ، وهو (أطلب) لُنصب الاسم به ، لأنه يطلب مفعولا .

وهذا الكلام غير صحيح ، لأن شرط التنازع أن يكون محل واحد من العاملين المتقدمين طالبا للمعمول مع صحة المعنى على فرض عمل أيهما فيه .

وقد هذا البديت لا يتم ذلك ، فإني لو قلت : لم تبت كمن سعى لأدنى معيشة كفاني قبل من المال ، ولم أطلب ذلك القليل ، لكان كلاما متناقضا لا محصل له .

وإنما يتم معنى بيت امرئ القيس إذا قدرت لقيه له (ولم أطلب) مفعولا لا نال عليه البديت بعده ، وتقدمه : (ولم أطلب المال) وإذا انحصرت البديت المراد به : لم تبت كمن سعى لأدنى معيشة كفاني قبل من المال ، ولم أطلب ذلك كان كلاما صحيحا مقبولا .

انظر الدب ان من : ٣٩ والاتصاف ١ : ٨٤ ، وقطع الندي ص :

٢٧٧ ، ٢٧٨ .

فأعمل الفعل الأول ، ولو أعمل الثانى لنصب (قليلًا) ، وذلك لم يروه أحد .

وأما القياس فهو أن الفعل الأول سابق الفعل الثانى ، وهو صالح للعمل كالفعل الثانى ، إلا أنه لما كان مبدوءاً به كان أعماله أولى ، لقوة الابتداء والعناية به ، ولهذا لا يجوز الغناء (ظننت) إذا وقعت مبتدأة ، نحو : ظننت زيدا قائماً بخلاف ما إذا وقعت متوسطة أو متأخرة نحو : زيد ظننت قائم ، وزيد قائم ظننت ، وكذلك لا يجوز الغناء (كان) إذا وقعت مبتدأة نحو : كان زيد قائماً ، بخلاف ما إذا كانت متوسطة ، نحو : زيد كان قائم فدل أن الابتداء له أثره فى تقوية عمل الفعل .

والذى يؤيد أن أعمال الأول أولى من الثانى أنك إذا عملت الثانى أدى الى الاضمار قبل الذكر ، والاضمار قبل الذكر لا يجوز فى كلامهم(٢) .

(وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الاختياراً أعمال الفعل الثانى النقل والقياس .

أما النقل فقد جاء كثيراً ، قال الله تعالى : « أتونى أفرغ عليه قطراً »(٣) فأعمل الفعل الثانى وهو أفرغ ، ولو أعمل الفعل الأول لقال : أفرغه عليه ، وقال تعالى : « هاؤم اقرء واكتابه »(٤) فأعمل الثانى وهو اقرءوا ، ولو أعمل الأول لقال : اقرءوه .

وقال الفرزدق :

١٤ - ولكن نصفا لو سببت وسببتى

بنو عبد شمس من منصف وهاشم(٥)

(٢) انظر الانصاف ١ : ٨٣ - ٨٧ .

(٣) الكهف : ٩٦ .

(٤) الحاقة : ١٩ .

(٥) النصف - بالكسر - معناه العسدر ، والمعنى : ليس من الانصاف أن أسباب مقاعسا بأبائى ، وذلك لضعتهم وشرفى ، فلا أزم الانصاف أن أسباب مقاعسا بأبائى ، وذلك لضعتهم وشرفى . فلا أزم

فاعمل الثنائي ، ولو أعمل الأول لقال : سببت وسبوني بنى
عبد شمس ، بنصب (بنى) وأظهار الضمير فى سبنى .

وأما القياس فهو أن الفعل الثانى أقرب الى الاسم من الفعل
الأول ، وليس فى أعماله دون الأول نقض معنى ، فكان أعماله أولى ،
ألا ترى أنهم قالوا « خشنت بصدرة و صدر زيد » فيختارون أعمال الباء
فى المعطوف ، ولا يختارون أعمال الفعل فيه ، لأنها أقرب اليه منه ،
وليس فى أعمالها نقض معنى ، فكان أعمالها أولى .

والذى يدل على أن للقرب أثرا أنه قد حملهم القرب والجوار حتى
قالوا : « جحر ضب خرب » فأجروا (خرب) على (ضب) وهو فى الحقيقة
صفة للجحر ، لأن الضب لا يوصف بالخراب ، فها هنا أولى(٦) .

وقال سيبويه(٧) فى معرض حديثه عن أولى العاملين بالعمل فى
باب التنازع : (وهو قولك : ضربت وضربنى زيد ، وضربنى وضربت
زيدا ، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه .

فالعامل فى اللفظ أحد العاملين ، وأما فى المعنى ، فقد يعلم أن
الأول قد وقع(٨) إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصب ورفع .

وانما كان الذى يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقض معنى ،
وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد ، كما كانت : خشنت
بصدرة(٩) و صدر زيد وجه الكلام ، حيث كان الجر فى الأول ، وكانت
الباء أقرب الى الاسم من الفعل ، ولا تنقض معنى ، سورا بينهما فى
الجر ، كما يستويان فى النصب) .

وبنو عبد شمس من أشرف قريش أبوهم عبد مناف ابن قصي ، وهاشم
وعبد شمس أخوان توأمان . وهاشم فى البيت معطوف على عبد شمس
لا على مناف ، وهو شاهد على أعمال العامل الثانى .

انظر الديوان ص : ٨٤٤ ، والكتاب ١ : ٧٧ ، وانصاف ١ : ٨٧ .

(٦) انظر الانصاف ١ : ٨٧ - ٩٢ .

(٧) انظر الكتاب ١ : ٧٣ .

(٨) يعنى وقوع الفعل على المفعول من جهة المعنى .

(٩) خشنت بصدرة : أو غرت بصدرة .

(الجواب عن كلمات الكوفيين :

بالنسبة لقول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة

كفاني ولم أطلب قليلا من المال

فنقول : انما عمل الأول منهما مراعاة للمعنى ، لأنه لو عمل
الثاني كان الكلام متناقضا ، وذلك من وجهين ، أحدهما - أنه لو عمل
الثاني كان التقدير فيه : كفاني قليل ولم أطلب قليلا من المال ، وهذا
متناقض ، لأنه يخبر تارة بأن سعيه ليس لأدنى معيشة ، وتارة يخبر بأنه
يطلب القليل ، وذلك متناقض .

والثاني - أنه قال في البيت الذي بعده :

١٦ - ولكنما أسعى لمجد مؤثّل

وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

فلهذا عمل الأول ولم يعمل الثاني .

وأما قولهم : ان الفعل الأول سابق فوجب أعماله للعناية به ،
قلنا : هم وان كانوا يعنون بالابتداء الا أنهم يعنون بالمقابلة
والجوار أكثر .

وأما قولهم : لو عملنا الثاني لأدى الي الأضمار قبل الذكر ،
قلنا : انما حوزنا ما هنا الأضمار قبل الذكر ، لأن ما بعده بفسره ،
لأنهم قد استغنوا عن بعض الألفاظ عن بعض اذا كان في اللفظ دلالة
على المحذوف لعلم المخاطب ، قال تعالى : « والحافظين فوجه
والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات » (١٠) فلم يعمد الآخ
فدما عمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبل ، ولعلم المخاطب ان
الثاني قد دخل في حكم الأول ، وقال تعالى : « ان الله يهتد به من المشركين
ودسه له » (١١) فاستغنى عن ذكر الأول من ذكر الثاني ، لعدم
المخاطب ان الثاني قد دخل في ذلك (١٢) .

(١٠) الأحزاب : ٣٥ . (١١) التوبة : ٣ .

(١٢) انظر الانصاف ١ : ٩٢ ، ٩٣ .

(والمدقق فى مثل هذه المسألة يرى أن الشواهد الواردة عن العرب المحتج بكلامهم ، قد عمل العامل الأول فى بعضها ، وعمل الثانى فى بعضها الآخر .

ومن هنا فقد تكافأ العاملان فى جواز الاعمال ، ولم يبق أحدهما أولى من أخيه ، فأما سبق الأول صاحبه ، وقرب الآخر من المعمول فلا يفيد ، فإنا نعلم أن الأفعال تعمل متقدمة على المعمول ومتأخرة عنه ، وتعمل متصلة بمعمولها ومفصلة منه ، وذلك كله واقع فى أفصح كلام ، فليس لواحد من الفريقين أن يدعى أن الاستعمال العربى يؤيده وحده ، لأن الاستعمال العربى يؤيد كل واحد منهما ، والأولى عند الترجيح فى مثل هذه القضية ، فإن لكل منهما مستندا من التعليل والقياس لا من الاستعمال العربى(١٣) .

(١٣) انظر تعليق الشيخ محيى الدين على شواهد الانصاف
١ : ٨٨ ، ٩٠ .

المبحث السادس

المجاورة في باب الإضافة

ما يكتسبه المضاف بالمجاورة :

قد يكتسب المضاف المذكر التانيث من المضاف اليه المؤنث ،
ويشترط في ذلك أمران :

الأول - أن يكون المضاف صالحا للحذف ، وإقامة المضاف اليه
مقامة مع صحة المعنى .

الثاني - أن يكون المضاف بعضا من المضاف اليه أو كبعضه ،
أو كلاله .

فمن الأول قوله تعالى « فله عشر أمثالها » (١٤) ، فحذفت التاء
من (عشر) وهي مضافة الى الأمثال ، وهي مذكرة ، ولكن لما جاورت
الأمثال الضمير المؤنث أجرى عليها حكمه (١٥) .
وقال جرير :

١٧ - لما أتى خبير الزبير تضعضعت

سور المدينة والجبال الخشع (١٦)

فألحق بالفعل (تضعضعت) تاء التانيث مع أن فاعله مذكر وهو
(سور) ولكن لما جاو (المدينة) المؤنثة اكتسب التانيث منها .

ومن ذلك أيضا قولهم : ذهب بعض أصابعه ، ف (بعض) فاعل
(ذهبت) ولحقت فعله تاء التانيث ، لكونه بعض المضاف اليه ، فاكسب
المضاف وهو (بعض) التانيث من المضاف اليه ، وهو (الأصابع) لصحة

(١٤) الأنعام : ١٦٠ .

(١٥) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ .

(١٦) انظر الديوان ص : ٣٤٥ ، وفيه توأضعت بدل تضعضعت .

الاستغناء بالأصابع عنه فتقول : ذهبت أصابعه ، تعبيراً بالكل عن
الجزء .

وقال الأعشى :

١٨ - وتشترق بالقول الذي قد أذعته

كما شترقت صدر القناة من الدم (١٧)

فالحق بالفعل (شترقت) تاء التانيث مع أن فاعله مذكر وهو (صدر)
والقياس (شرق) ، ولكن لما كان الصدر الذي هو مضاف بعض المضاف
إليه وهو القناة اكتسب التانيث منه .

ومن الثاني قول ذي الرمة :

١٩ - مشين كما اهتزت رماح تسفحت

أعاليها مر الرياح النواسم (١٨)

فقد الحق الشاعر بالفعل وهو (تسفه) علامة التانيث مع أن فاعله
مذكر وهو (مر) ، لأنه اكتسب التانيث من المضاف إليه ، والشرطان
موجودان ، لأن المضاف وهو (مر) كالبعض ، ويصح المعنى بحذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فتقول : تسفحت الرياح .

ومن الثالث قوله تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محصراً » (١٩) فقد الحق بالفعل وهو (تجد) علامة التانيث وهي تاء

(١٧) (تشرق) و (شترقت) يقال : شرق فلان بالماء يشرق من باب
علم ، أى غص (القناة) الرمح ، وصدرها أعلاها الذى يلى السنان ، أى
يعود عليك مكروه ما أذعت عنى من القول .
انظر الديوان ص : ١٨٣ - الأششونى ٢ : ٢٤٨ - الكتاب
١ : ٥٢ .

(١٨) تسفحت : أمالت (أعاليها) جمع أعلى وهو الطرف العسالى
(النواسم) جمع نائمة وهو أول الريح حين تهب بلين ، وأراد من الرماح
الأغصان . والمعنى : أن هؤلاء النسوة قد مشين فى اهتزاز وتمائل ، فهن
بحاكين رماحاً أو غصوناً . مرت بها ريح فأمالتها
انظر الديوان ص : ٦٩٥ .
(١٩) آل عمران : ٣٠ .

المضارعة مع أن فاعله مذكر وهو (كل) ، لأنه اكتسب التأنيث من انضمام
اليه وهو (نفس) ، ويصح المعنى بحذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه فتقول : يوم تجد نفس .

وقول عنتره :

٢٠ - جادت عليه كل عين ثرة فترك كل حديقة كالدرهم (٢٠)

فقد لحقت الفعل وهو جادت تاء التأنيث مع كون فاعله مذكرا
وهو (كل) لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو (عين) .
وقد يكتسب المضاف المؤنث التذكير من المضاف اليه المذكر
كقول الشاعر :

٢١ - انارة العقل مكسوف بطوع هوى

وعقا، عاصى الهوى يزداد تنويرا (٢١)

فذكر (مكسوف) مع أنه خبر عن مؤنث وهو (انارة) ، لأنه اكتسب
التذكير من اضافته الى العقل المذكر .

وقيل : ان من ذلك قوله تعالى « ان رحمة الله قريب من

(٢٠) الضمير في (عليه) يرجع الى النبت في البيت السابق (عين)
سحابة تأتي من جهة العراق أو مطر أيام لا يقلع . (ثرة) كثيرة الماء
(حديقة) المراد بها هنا الأرض المرتفعة (كالدرهم) فى الاستدارة
والبياض .

انظر الأشموني ٢ : ٢٤٨ .

(٢١) (انارة) هو فى الأصل مصدر قولك : انار القمر ونحوه اذا
اضاء (العقل) هو الغريزة التى بها يدرك الانسان الأشياء (مكسوف) هو
الرصيف من قولك : كسفت الشمس بالبناء للمجهول اذا ذهب نورها .
(بطوع هوى) طوع - بفتح الطاء وسكون الواو - أى الطاعة والانقياد .
والهوى : شهوة النفس وميلها الى ما تحببه ، وإراد بسبب انطلاقة
وراء شهوات نفسه الموبقة . والمعنى : اذا جرى الانسان وراء شهوات
نفسه ، وانطلق خلاق اغراضه ضعف عقله الذى به يدرك الأشياء .
وعظم علمه ونوره الربانى الذى تقاضيه عليه الطاعة .

انظر اوضح المسالك ٢ : ١٨١ - الأشموني ٢ : ٢٤٨ .

المحسنين» (٢٢) فالرحمة مؤنثة واكتسبت التذكير من إضافتها الى لفظ
الجلالة ، فأخبر عنها بقريب المذكر ، وكان القياس أن يقال : قريبة .

ورد هذا القول بقوله تعالى « لعل الساعة قريب » (٢٣) حيث
ذكره بلا اضافة . فالوجه ان التذكير في الآيتين لاجراء فعيل بمعنى
ساعل مجرى فعيل بمعنى مفعول في أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث .
أو لكون فعيل على وزن المصدر كصهيل ، والمصدر يخبر به عن
المذكر والمؤنث ، فكذا ما وازنه .

فان فقد الشرطان المذكوران لم يكتسب المضاف التانيث أو التذكير
من المضاف اليه فلا تقول : حضرت ابن زينب ، ولا قام امرأة محمد ،
لان المضاف لا يصلح للاستغناء عنه بالمضاف اليه ، ولا تقول : أعجبتني
يوم العروبة (الجمعة) ، لأنه وان صح الاستغناء عن المضاف بالمضاف
اليه ، فتقول : أعجبتني العروبة فليس المضاف كلا ولا بعضا للمضاف
اليه ولا كبعضه ، لان اليوم هو نفس العروبة .

وقال العكبري(٢٤) : (ومما راعت العرب فيه الجوار قولهم :
قامت هند ، فلم يجيزوا حذف التاء اذا لم يفصل بينهما ، فان فصلوا
بينهما اجازوا حذفها ، ولا فرق بينهما الا المجاورة وعدم
المجاورة)(٢٥) .

(٢٢) الأعراف : ٥٦ .

(٢٣) الشورى : ١٧ .

(٢٤) هو أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسن أصله من عكبر
(بليدة على دجلة فوق بغداد) توفى ببغداد سنة ٦١٦هـ وقد قارب
الثمانين .

(٢٥) انظر التبيان ١ : ٤٢٢ .

المبحث السابع

المجاورة في باب الأحوال والأزمنة

من شرط الفعل اذا نصب ظرفا أن يكون واقعا فيه ، أو في بعضه ،
كقولك : صمت يوما ، وسرت فرسخا ، وزرتك يوم الجمعة ، وجلست
عندك .

فكل واحد من هذه الأفعال واقع في الظرف الذي نصبه
لا مصالة .

وأحيانا ينصب الفعل الظرف ولا يكون واقعا فيه ، وإنما هو يقع
فيما يلي الظرف ويسكن بسبب المجاورة الزمانية صارا كأنهما وقعا في
وقت واحد .

ومن ذلك قولهم : أحسنت اليه إذ أطاعني ، وأنت لم تحسن اليه في
أول وقت الطاعة ، وإنما أحسنت اليه بعد تمامها ، ألا ترى أن الاحسان
مسبب عن الطاعة ، وهي كالعلة له ، ولا بد من تقدم وقت السبب على
وقت المسبب ، كما لا بد من ذلك مع العلة . لكنه لما تقارب الزمانان ،
وتجاورت الحالان في الطاعة والاحسان ، أو الطاعة واستحقاق
الاحسان صارا كأنهما وقعا في زمان واحد كما أسلفنا .

والدليل على ذلك أن (لما) من قولك : لما أطاعني أحسنت اليه ،
إنما هي منصوبة بالاحسان ، وظرف له ، كقولك : أحسنت اليه وقت
طاعته ، وأنت لم تحسن اليه لأول وقت الطاعة ، وإنما كان الاحسان
عقب الطاعة ، أي بعد أن أطاعة ، لكن لما كان الثاني مسببا عن الأول
وتاليا له ، فاقتربت الحالان ، وتجاور الزمانان ، صار الاحسان كأنه
هو والطاعة في زمان واحد ، فعمل الاحسان في الزمان الذي يجاوز
وقته ، كما يعمل في الزمان الواقع فيه هو نفسه .

وقال ابن جنين (١) :

(ولما اطرد هذا في كلامهم وكثر على السننهم وفي استعمالهم تجاوزوه واتسعوا فيه الى ما تناعت حالاته ، وتفاوت زماناه ، وذلك كان يقول رجل بمصر في رجل آخر بخراسان : لما ساءت حاله حسنتها ، ولما اختلت معيشته عمرتها ، ولعله أن يكون بين هاتين الحالين السنة والسنن .

فان قلت : فلعل هذا مما اكتفى فيه بذكر السبب ، وهو المعرفة بسوء حالة واختلال معيشته ، أما السبب عنه وهو التغيير والاصلاح فيكون متراخيا ، فكأنه قال : لما عرفت اختلال حالة عمرتها .

قيل : ولو كان الامر على ذلك لما عدت ما كنا عليه ، الا ترى انه قد يعرف ذلك من حال صاحبه ، وهو معه في بلد واحد بل منزل واحد فيكون بين المعرفة بذلك والتغيير له الشهر والشهران او اكثر ، فكيف بمن بينه وبينه الشقة الشاسعة المحتاجة الى المدة المتراخية) .

وبعد هذا قال ابن جنين (٢) : (وعلى هذا يتوجه عندي قول الله - سبحانه - « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون » (٣) .

وذلك ان تجعل (اذ) بدلا من قوله (اليوم) والا بقيت بلا ناصب . وجاز ابدال (اذ) وهو ماض في الدنيا من قوله (اليوم) وهو حينئذ حاضر في الآخرة ، لأنه لما كان عدم الانتفاع بالاشتراك في العذاب انما هو مسبب عن الظلم ، وكانت - أيضا - الآخرة تلى الدنيا بلا وقفة ولا فصل صار الوقتان على تباينهما وتناوبهما كالوقتتين المقترنين الدائنين المتلاصقين نحو :

.....
١. حسنت اليه اذ شكرني ، وأعطيته حين سألتني .
وهذا أمر استقر بيني وبين أبي علي (٤) - رحمه الله - .

(١) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٢ .

(٢) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ .

(٣) الزخرف : ٣٩ .

(٤) هو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي نشأ في بلاد فارس ، وتوفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ ، عن نيف وتسعين سنة .

وانما جاء هذا النحو فى الأزمنة دون الأمكنة من حيث كان كل جزء من الزمان لا يجتمع مع جزء آخر منه ، انما يلى الثانى الاول خلفا له ، وعوضا عنه ، فصار الوقتان كأنهما واحد ، وليس كذلك المكان ، لأن المكانين يوجدان فى الوقت الواحد ، بل فى أوقات كثيرة غير منقضية .

فلما كان المكان بل الأمكنة كلها تجتمع فى الوقت الواحد والأوقات كلها لم يقم بعضها مقام بعض ، ولم يجسر مجراه ، فلهذا لا نقول : جلست فى البيت من خارج أسكفته (٥) ، وان كان ذلك موضعا يجاوز البيت ويماسه ، لأن البيت لا يعدم (٦) فيكون خارج بابه ، خالفا فى الوجود له ، كما يعدم الوقت فيعرض منه ما بعده (٧) .

(٥) أسكفة الباب : عتيقه .

(٦) يقصد بذلك أنك لا يصح أن تقول : جلست فى البيت من خارج عتيقه قاصدا بذلك الجلوس فى البيت ، وتكون عتبة البيت نائبة عن البيت فى الوجود ، لأن البيت موجود وعتيقه موجودة .، ويجتمعان فى الوقت (٧) أنظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ .

الفصل الثالث المجاورة في المسائل التصريفية

(م ٤ - دراسات نحوية)

المجاورة فى المسائل التصريفية

لم يكن أثر الجوار قاصرا على الجانب النحوى فقط ، وانما تعداه ليشمل الجانب التصريفى أيضا .

ومن ذلك :

- ١ - الجوار بين الواو والكسرة .
- ٢ - الجوار بين عين الكلمة ولامها .
- ٣ - قلب الحرف للتناسب .
- ٤ - قلب الواو المجاورة للطرف همزة .
- ٥ - مجاورة الواو للضمة .

أولا - الجوار بين الواو والكسرة :

من ذلك قولهم : قنية ، وصبية ، وفلان من عليه الناس ، وهو ابن عمى دنيا ، وصبيان .

وأصل (قنية من قنوت ، وصبية من صبوت وكذا صبيان ، وعليه من علوت ، ودنيا من دنوت .

وقياسه : قنوة ، وصبوة وصبوان ، وعلوة ، ودنوا .

ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتبر الساكن حاجزا لضعفه .

ونظير هذا قولهم : أقتل ، أدخل حيث ضموا الهمزة لضمة العين ، ولم يعتدوا بالفاء حاجزا لسكونها فصارت الهمزة لذاك كأنها قبل العين المضمومة ، فضمت كراهة الخروج من كسر الى ضم (١) .

(١) انظر المنصف ٢ : ٢ .

فأثيسا - الجوار بين عين الكلمة ولأماها :

ومن ذلك قولهم فى صوم : صيم قال سيوييه (٢) (والواو تغلب ياء
فى فعل ، وذلك قولهم : صيم فى صوم ، وقيم فى قوم ، وقيل فى فـول ،
ونيم فى نوم ، لما كانت الياء اخف عليهم وكانت بعد ضمة ، شبيهوها
بقولهم : عتى فى عتو ، وجثى فى جثو ، وعصى فى عسو .

وقد قالوا أيضا : صيم ونيم ، كما قالوا : عتى وعصى . ولم
يتقبلوا فى زوار وصوام ، لأنهم شبهوا الواو فى صيم بها فى عتو اذ كانت
لاما وقيل اللام واو زائدة . وكلما تباعدت من اخر الحرف بعد شبيهها
وقسويت) .

ومن أمثلة القلب فى (فعل) قول الحادرة :

٢٢ - ومعرض تغلى المراجىل تحته

بادرت بلختها لرمسط جيع (٣)

يريد جوعا .

ثالثا - قلب الحرف للتناسيب :

من قلب الحروف قوله - عليه الصلاة والسلام - « ارجعن
مأزورات غير مأجورات » (٤) . والأصل موزورات - بالواو - لأن
من الوزر .

(٢) انظر الكتاب ٤ : ٣٦٢ .

(٣) (معرض) - بضم الميم وفتح العين والراء المشددة - هو
اللحم الملقى فى العرصة للجفاف ، والعرصة : كل بقعة بين الدور
واسعة ليس فيها بناء ، والجمع العراض والعرصات . (المراجىل) جمع
رجل وهو القدر من النحاس .

والشاهد فى قوله (جيع) فان أصله جوع ، لأنه من الأجوف الواوى
فأبدلت الياء من الواو وهو جمع جائع .

ووجه ذلك أن العين شذبت باللام لقربها من الطرف ، فأعلت كما
تعمل اللام ، فقلبت الواو الأخيرة ياء ، ثم قلبت الواو الأولى ياء وأدغمت
الياء فى الياء ، ومع كثرتة التصحيح أكثر منه نحو : نوم وصوم .

انظر الخصائص ٣ : ٢١٨ - النصف ٢ : ٣ - الأشسمونى

٤ : ٣٢٨ .

(٤) المذكور جزء من حديث ذكره ابن ماجه وتماه « خرج

=

فهمز الأول لتناسب همز الثانى ومشاكلته ، اى ارجعن وعليكن
الوزر لا الأجر .

وقولهم : انى لآتيه بالغداديا والعشايا هو لازدواج الكلام(٥) ،
كما قالوا : هنأتى الطعام ومرانى ، وانما هو امرانى(٦) .

رابعاً - قلب الواو المجاورة للطرف همزة :

من ذلك قولهم فى (أواول) أوائل ، بقلب الواو الثانية همزة ،
لقربها من الطرف ، فاذا بعدت عن الطرف لا تقلب نحو : طواويس .

وهذا موضع من مواضع ابدال الواو والياء همزة وجوبا ، وهو
ان تقع احدهما ثانى حرفى علة توسطت بينهما ألف شبه مفاعن سواء
كان حرفا العلة واوين نحو : أوائل جمع اول .

وأصل هذا الجمع (أواول) فأبدلت الواو الثانية همزة ، أم ياءين
نحو نيائف جمع نيف (وهو ما زاد على العقد الى العقد الثانى) من ناف
ينيف اذا زاد ، فياؤه أصلية ، وقيل من ناف ينوف ، فأصله : نيوف ،
اجتمعت الواو والياء وسبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو ياء وأدغمت
الياء فى الياء .

أم كانا مختلفين نحو : سيائد جمع سيد ، وأصل الجمع سياود ،
ونحو بوائع جمع بائعة وأصل الجمع بوايع .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟
قلن ننتظر الجنازة قال : هل تغسلن ؟ قلن لا ، قال : هل تحملن ؟ قلن
لا ، قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا ، قال : فارجعن مأزورات غير
مأجورات .

انظر سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١ : ٥٠٣ .
(٥) يقال : أتيتك غداة غد ، والجمع الغدوات مثل : قطة
وقطوات .

وانظر الصحاح ٦ : ٢٤٤٤ .

(٦) هنأنى ومرانى أى جعل عيشى مريئاً ، أى حمد المديشة
مستحسناً الا أن الهمزة حذفت منه عند اقترانه بهنأنى طلباً للمشكلة .
وانظر حاشية حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب ٢ : ٣٠٣ .

ويشترط في بقاء هذه الهمزة أيضا أن تكون اللام حرفا صحيحا
غير همزة .

فان توسطت بينهما ألف شبه مفاعيل وجب تصحيح ثانى حرفى
العلة للبعده حينئذ عن الطرف ، كما فى طواويس جمع طاووس .

فلما كانت كل من الواو والياء قريبة من الطرف قلبتا همزة ، كما
لو وقعتا طرفين ، وذلك اذا تطرفت احدهما بعد ألف زائدة حقيقة نحو :
دعاء وسماء وبناء وفناء . والأصل : دعاو ، وسماو ، وبنائى ، وفنائى ،
فأبدلت الواو والياء فيهن همزة ، أو حكما بأن كان بعد احدهما تاء
تأنيث أو علامة تثنية عارضتان نحو : بناءة مؤنث بناء ، وكساءين
تثنية كساء (٧) .

خامسا - مجاورة الواو للضممة :

من ذلك قول جرير :

٢٣ - أحب المؤقدين الى موسى

وجعدة اذا أضاءهما الوقود (٨)

(٧) راجع الأشموني ٤ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، والتبيان فى اعراب
القرآن ١ : ٤٢٣ .

(٨) البيت - لجرير من قصيدة مدح بها هشام بن
عبد الملك الروانى ، وموسى وجعدة : ولدا جرير ، وروى ابن جنى صدره
فى سر الصناعة أحب المؤقدين بصيغة أفعل التفضيل ، فيكون
(أحب) مبتدأ مضافا الى (المؤقدين) بالجمع ، و (موسى) خبره ، ورواه
فى الخصائص وفى شرح تصريف المازنى وفى المحتسب أحب
المؤقدان فتكون اللام فى جواب قسم محذوف و (حب) للمدح
والتعجب ، وأصلها حبب - بفتح العين - فعل متعد كقول غيلان
النهشلى :

فه الله أه لا تمره ما حسبه ، ولا كان أدن من عبده ومشره .

ثم نقل الـ باب فعل - بالضم - للمدح لللاحاق بنعم . و (المؤقدان)
فأعـ حب ، (مؤسس و جعدة) هم الخصوص بالمدح و (الـ) بمعنى عذبة
و (أذ) ظرف متعلق بحب ، و (أضاءهما) بمعنى أثارهما وأظاهما .
و (أضياء لازما ، يقال : أضياء الشـ بمعنى أشـ ، و الاسم الضياء .
و (الوقود) بالضم مصدر وقدت النار : أى اشتعلت ، و (الوقود)

(وى بهمز (المؤقدين) و (مؤسى) ، حكاه ابن جنى فى سر
الصناعة(٩) عن أبى على ، قال : وروى قنبل عن ابن كثير(بالسوق)
فهمة الواو(١٠) .

ووجه ذلك ان الواو ، وان كنت ساكنة فانها قد جاورت ضمة
الميم ، فصارت الضمة كأنها فيها ، فمن حيث همزت الواو فى نحو (أقتت)
و (أجوة) ، لانضمامها كذلك كان همز الواو فى المؤقدين ومؤسى .

وقال فى المحتسب(١١) : همز الواو فى الموضعين جميعا من
البيت . لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما فصارت الضمة كأنها فيهما .
والواو اذا انضمت ضمما لازما فهمزها جائز نحو (أقتت) فى وقتت ،
و (أجوه) فى وجوه(١٢) ، ونظائر ذلك كثير .

وقال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى(١٣) - بعد انشاد البيت :
(همز الواو الساكنة ، لأنه توهم الضمة قبلها فيها ، وانما يجوز مثل هذا
الغلط منهم لما يستهويهم من الشبه ، لأنهم ليست لهم قياسات يعتصمون

بالمفتح الحطب الذى يوقد ، وقد روى هنا بالوجهين ، وأريد به هنا
وقود نار القرى ، كما هو عادة العرب ، يوقد الكريم منهم نارا على
موضع عال ليهدى بها الية الغريب والمسافر فيأتى الى قراه . والشاعر
قد وصف ابنيه ونفسه بالكريم ، حيث جعل محبته لهمسا من حين
اشتهارهما بالكريم .

انظر شرح ديوان جرير ص : ١٧٤ - شرح شواهد الشافعية
٤ : ٤٢٩ .

(٩) انظر سر صناعة الاعراب ص : ٩٠ .

(١٠) من قوله تعالى « ردها على فطرق مسحا بالسوق والأعناق »

آية : ٣٣ من سورة ص .

(١١) ١ : ٨٤ .

(١٢) من مواضع ابدال الواو همزة جوازا ، ان تكون الواو،

مضمومة ضمة لازمة غير مشددة سواء كانت اول الكلمة نحو : أجود

جمع وحه ، وأصله وجوه ، أم لم تكن فى اول الكلمة نحو : أدور جمع

دار ، وأنون جمع نار ، والأصل : أدور وأنون .

ونحو : سؤرق جمع ساق ، وقؤول مبالغة فى قائل .

(١٣) انظر النصف ١ : ٣١١ .

بها ، وانما يميلون الى طبائعهم ، فمن اجل ذلك قرأ الحسن البصرى
« وما تنزلت به الشياطين » (١٤) لأنه توهمه جمع التصحيح نحو :
الزيدون ، وليس منه .

وكذلك قراءته « ولا ادراكم به » (١٥) جاء به كأنه من درأته ،
وليس منه انما هو من دريت الشيء : علمت به .

وكذلك قراءة من قرأ « عادا لمولى » (١٦) فهمز فهو خطأ منه بمنزلة
قول الشاعر :

لحسب المؤقدان الى موسى

فهمز الواو الساكنة ، لأنه توهم الضمة قبلها فيها ، ولهذا الغلط
فى كلامهم نظائر فاذا جاء فاعرفه لتستعمله كما سمعته ولا تقس عليه .

(١٤) الشعراء : ٢١٠

(١٥) من قوله تعالى « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به » من الآية : ١٦ من سورة يونس ، وانظر معانى الفراء ١ : ٤٥٩ .

(١٦) من قوله تعالى « وأنه اهلك عبادة الاولى » آية : ٥٠ من
سورة النجم .

وفى البصر ٨ : ١٦٩ : وهمز قالون عين الاولى بدل الواو الساكنة ،
ولما لم يكن بين الضمة والواو حائل تخيل أن الضمة على الواو
فهمزها .

الفصل الرابع

القول بالمجاورة في القرآن الكريم

المبحث الأول

الجر على الجوار في العطف

ذهب كثير من العلماء الى أن الخفض على الجوار لا يحسن في المعطوف ، لأن حرف العطف حاجز بين الاسميين ومبطل للمجاورة .
ويرى فريق آخر أن العطف على الجوار ليس بممتنع أن يقع في القرآن الكريم ، بل ان ذلك واردو كثير .
ومن ذلك قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » (١) .
فقد قرأ نافع وابن عامر ، والكسائي ، وحفص بالنصب ، وقرأ الباقون بالخفض (٢) .

ومن هنا اختلفت كلمة العلماء في توجيه قراءة جر (الأرجل) أيكون الجر بسبب مجاورة (الرءوس) المجاورة ، وان اختلف الحكم ، فيكون العطف على (الرءوس) من ناحية اللفظ والمعنى للغسل .
وهؤلاء هم الذين قالوا بجواز الجر على الجوار في العطف ، ومن باب أولى فهو جائز عندهم في النعت .

أم أن (الأرجل) معطوفة على (الرءوس) عطفًا حقيقيا باللفظ والمعنى ، وأما وجوب غسل الرجلين فيفهم ويؤخذ من اللغة وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - والاجماع .
وهؤلاء هم الرافضون لظاهرة الجر على الجوار في القرآن الكريم سواء كان ذلك في العطف أم في النعت .

(١) من الآية : ٦ من سورة المائدة .

(٢) انظر الكشف ١ : ٤٠٦ .

فممن قال بالرأى الأول : الزجاج ، والنحاس ، وأبو حيان
والألوسى .

وممن قل بالرأى الثانى : الفراء ، وأبو عبيدة ، والأخفش ،
والعسكبرى .

أولا - آراء المجيزين :

١ - قال أبو عبيدة (٣) فى مجاز القرآن : (وأرجلكم) مجرورة
بالمجرورة التى قبلها ، وهى مشتركة بالكلام الأول من المغسول .

والعرب قد تفعل هذا بالجوار ، والمعنى على الأول ، فكان موضعه :
واغسلوا أرجلكم (٤) .

وقال الأخفش (٥) فى معانى القرآن (٦) : « وأرجلكم » بانصب ،
حيث رد الى الغسل فى قراءة بعضهم ، لأنه قال : « فاغسلوا
وجوهكم » .

وقال بعضهم : (وأرجلكم) على المسح ، أى وامسحوا بأرجلكم ،
وهذا لا يعرفه الناس . وقال ابن عباس : المسح على الرجلين يجرىء .

ويجوز الجر على الاتباع ، وهو فى المعنى الغسل ، نحو : هذا
جحر ضب خرب .

والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار ، ومثله قول العرب :

أكلت خبزا ولبنا ، واللبن لا يؤكل .

(٣) هو معمر بن المثنى ولد سنة ١١٠ هـ ، وتوفى بين سنة
٢٠٩ ، ٢١٣ .

(٤) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ .

(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة توفى ببغداد سنة ٢١٥ هـ .

(٦) انظر معانى القرآن ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

قال الشاعر :

٢٤ - ياليت زوجك قد غدا متقلدا سيفاً ورمحاً (٧)

وقال العكبري (٨) فى التبيان : (قريء (وأرجلكم) بالجر وهو مشهور - أيضا - كشهرة النصب وفيها وجهان :

أحدها - أنها معطوفة على الرعوس) فى الاعراب ، والحكم مختلف ، فالرعوس ممسوحة ، والأرجل مفسولة وهو الاعراب الذى يقال فيه هو على الجوار . وليس بممتنع أن يقع فى القرآن لكثرتة .

والوجه الثانى - أن يكون جر الأرجل بجار مصذوف تقديره :
وافعلوا بأرجلكم غسلا ، وحذف الجار وإبقاء الجر جائز .

قال الشاعر :

٢٥ - مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة

ولا ناعب الا يبين غرابها (٩)

وقال زمير :

(٧) البيت لعبد الله الزبيرى القرشى ، شاعر خبيث ، كان مؤذيا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلسانه ، ثم أسلم واعتذر اليه . والمعنى : متقلدا سيفاً وحاملاً رمحاً ، لأنه يقال : تقلد فلان سيفه ولا يقال : تقلد رمحه ، وإنما يقال : حمل رمحه .
انظر معانى الألفى ١ : ٢٥٥ - معانى الفراء ١ : ١٢١ -
الأمالى الشجرية ٢ : ٣٢١ .
(٨) هو أبو البقاء عبد الله الخريز بن الحسين توفى ببغداد سنة ٦١٦ هـ .

(٩) قاله الأصوص الرياحى يهجو بنى يربوع ينسبهم الى الشؤم وقلة الصلاح والخير ، وأنهم لا يصلحون أمر العشيرة اذا ما فسد ما بينهم ، فغرابهم لا ينبع الا بالبين والفرقة .
والشاهد فيه حمل (ناعب) على المعنى ، أى ليسوا بمصلحين ولا ناعب .
انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ - الخزانة ٢ : ١٤٠ .

٢٦ - بدالى أنى لست بمدرك ما مضى

ولا سابق شيئاً اذا كان جائياً (١٠)

فجر بتقدير الباء وليس بموضع ضرورة (١١) .

والزمخشري (١٢) وان لم يصرح فى هذه الآية بالجر على الجوار
الا ان ظاهر كلامه يفيد ذلك ، فقد قال فى الكشاف : (فان قلت : فما
تصنع بقراءة الجر ودخولها فى حكم المسح ؟ قلت : الأرجل من بين
الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها ، فكانت مظنة
الاسراف الذموم المنهى عنه ، فعطفت على الثالث المسحوح لا لتمسح
ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها .

وقيل (الى الكعبين) فجاء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها
ممسوحة ، لان المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة (١٣) .

آراء المانعين :

قال الزجاج (١٤) فى معانى القرآن (١٥) : (قرىء (وأرجلكم)
بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الوجهين جائز فى العربية .

فمن قرأ بالنصب فالمعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى
المرافق ، وأرجلكم الى الكعبين ، وامسحوا برءوسكم على التقديم
والتأخير ، والواو جائز فيها ذلك ، كما قال - جل وعز - « يا مريم
اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » (١٦) .

(١٠) استشهد به سيبويه على صحة الحمل على المعنى فان معناه :
لست بمدرك ولا سابق .

والمعنى : أن الانسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ - ديوان زهير ص : ٢٨٧ .

(١١) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(١٢) هو محمود بن عمر جاد الله الزمخشري ، ولد بزمخشر بلد

بخوارزم توفى سنة ٥٣٨ هـ .

(١٣) انظر الكشاف ١ : ٣٢٦ .

(١٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السرى ، ولقب بالزجاج ، لانه

كان يخرط الزجاج توفى ببغداد سنة ٣١٠ هـ .

(١٥) انظر معانى القرآن واعرابه للزجاج ٢ : ١٦٧ وما بعدها .

(١٦) آل عمران : ٤٣ .

والمعنى : واركعى واسجدى ، لأن الركوع قبل السجود .
ومن قرأ (وأرجلكم) بالجبر عطف على الرءوس ، وقال بعضهم :
نزل جبريل بالمسح والسنة الغسل(١٧) .

وقال بعض أهل اللغة : هو جر على الجوار .
فأما الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله .
ويجوز (وأرجلكم) بالجبر على معنى واغسلوا ، لأن قوله (الى
الكعبين) قد دل على ذلك كما وصفنا ، وينسق بالغسل على المسح
كقول الشاعر :

يا ليت بعك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا(١٨)

المعنى : متقلدا سيفا وحاملا رمحا .

وكذلك قال الشاعر :

٢٧ - علفتها تبنا وماء باردا حتى شئت همالة عيناهما(١٩)

المعنى : وسقيتها ماء باردا) .

وقل النحاس(٢٠) في اعراب القسوان(٢١) : (ذهب الأخص
رأبو عبيدة(٢٢) الى أن الخفض على الجوار ، والمعنى للغسل .

(١٧) يريد أن السنة هي التي بينت الغسل ، أما القسوان فجاء
بالمسح .

(١٨) البيت لعبد الله الزبيري ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد
رقم (٢٤) .

(١٩) يزوى قبيل صدره لما حططت الرجل عنها واردا
وعلفتها : أطعمتها وقدمت لها ما تأكله - تبنا : هو قصب الزرع
بعد أن يداس - شئت : بمعنى بدت - همالة : صيغة مبالغة أي انهمرت
وقاضت به وكثر نزوله منها - الرجس : متاع المسافر - واردا : أي
موافيا لما قصدت اليه بسفري وبالغا اياه .

انظر معاني الفراء ٣ : ١٢٤ - أوضح المسالك ٢ : ٥٦ .

(٢٠) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصري توفى سنة ٢٢٧هـ

بالقاهرة .

(٢١) انظر اعراب القرآن للنحاس ١ : ٤٨٥ .

(٢٢) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ .

قال الاخفش : ومثله « هذا جحر ضب خرب » وهذا القول غلط
عظيم ونظيره الاقواء (٢٢) .

ومن أحسن ما قيل : أن المسح والغسل واجبان جميعا ، والمسح
واجب على قراءة من قرأ بالخفض . والغسل واجب على قراءة من قرأ
بالنصب ، والقراءتان بمنزلة آيتين) .

وقال أبو حيان في البحر (٢٤) : (والظاهر من هذه القراءة اندراج
الأرجل في المسح مع الرأس . وروى وجوب مسح الرجلين عن ابن
عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر الباقر ، وهو مذهب الامامية
من الشيعة .

ومن أوجب الغسل قائل أن الجرح هو خفض على الجوار ، وهو
تأويل ضعيف جدا ، ولم يرد الا في النعت حيث لا يلبس على خلاف فيه
قد تقرر في العربية) .

وقال الألويسي (٢٥) : في روح المعاني (٢٦) : (قرأ نافع وابن عامر
والكسائي ويعقوب وحفص (وأرجلكم) بنصب اللام .

وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم (وأرجلكم) بخفض
اللام .

ومن هنا اختلف الناس في غسل الرجلين ومسحهما .

قال الامام الرازي (٢٧) : نقل القفال في تفسيره عن ابن عباس
وأنس ابن مالك وعكرمة والشعبي أن الواجب فيها المسح ، وهو مذهب
الامامية .

(٢٣) هو اختلاف حركة الروى المطلق بالضم والكسر .

(٢٤) انظر البحر المحيط ٣ : ٤٣٧ .

(٢٥) هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ .

(٢٦) ٦ : ٧٣ وما بعدها الى ص : ٧٨ .

(٢٧) هو أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل
الشافعي المذهب المفسر المتكلم الأصولي توفى في سنة ٦٠٦ هـ .

وقال جمهور الفقهاء والمفسرين: فرضهما الغسل .

وجبة القائلين بالمسح قراءة الجر ، فانها تقتضى كون الأرجل معطوفة على الرءوس فكما وجب المسح فيها وجب المسح على الأرجل .
وقول من قال : ان الواجب فى الأرجل الغسل - وانما جرت على الجوار - باطل من وجوه :

أولها - أن الجر على الجوار معدود من اللحن الذى قد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر ، وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه .

وثانيها - أن الجر انما يصار اليه حيث حصل الأمن من الالتباس ، وفى الآية الأمن من الالتباس غير حاصل .

وثالثها - أن الجر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب .

ومن العلماء من ردوا قراءة النصب الى قراءة الجر ، فقالوا : انها تقتضى المسح أيضا ، لأن العطف حينئذ على الرءوس لقريبه فيتشركان فى الحكم ، وهذا مذهب مشهور للنفاة

ثم قال الامام (٢٨) : واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا الامن وجهين :

الأول - أن الأخبار الكثيرة وردت بايجاب الغسل ، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس ، فكان الغسل اقرب الى الاحتياط ، فوجب المصير اليه ، وعلى هذا يجب القطع بان غسل الأرجل يقوم مقام مسحها .

والثانى - أن فرض الأرجل محدود الى الكعبيين ، والتحديد انما جاء فى الغسل لا فى المسح .

والقراءتان متواترتان باجماع الفريقين بل باطباق أهل الاسلام

(٢٨) يعنى : الفخر الرازى ، وانظر التفسير الكبير ١٠ : ١٥٤ ، ١٥٥ .

كلهم • ومن القواعد الأصولية عند الطائفتين أن القراءتين المتواترتين إذا تعارضتا في آية واحدة فلهما حكم آيتين ، فلا بد لنا أن نسعى ونجتهد في تطبيقهما أولاً مهما أمكن ، لأن الأصل في الدلائل الاعمال دون الاهمال كما تقرر عند أهل الأصول •

ثم نطلب بعد ذلك الترجيح بينهما ، فإن لم يتيسر لنا الترجيح بينهما فنتركهما ونتوجه إلى الدلائل الأخرى من السنة •

وقد ذكر الأصوليون أن الآيات إذا تعارضت بحيث لا يمكن التوفيق تم الترجيح بينهما يرجع إلى السنة ، وأن تعارضت السنة كذلك نرجع إلى أقوال الصحابة وأهل البيت ، أو نرجع إلى القياس عند القائلين بأن قياس المجتهد يعمل به عند التعارض •

فلما تأملنا في هاتين القراءتين في الآية وجدنا التطبيق بينهما بقواعدنا من وجهين :

الأول - أن يحمل المسح على الغسل كما صرح به أبو زيد الأنصاري (٢٩) وغيره من أهل اللغة ، فيقال للرجل إذا توضأ تمسح ، ويقال : مسح الله تعالى ما بك أي أزال عنك المرض ، ومسح الأرض المطر إذا غسلها •

فاذا عطفت الأرجل على الرءوس في قراءة الجر لا يتعين كونها ممسوحة بالمعنى الذى يدعيه الشيعة •
واعترض على ذلك من وجوه :

أولها - أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرق الله تعالى بين الأعضاء المغسولة والممسوحة ، فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا ؟

وثانيها - أن الأرجل إذا كانت معطوفة على الرءوس ، وكان الفرض في الرءوس المسح الذى ليس يغسل بلا خلاف - وجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، والا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز •

(٢٩) هو سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري كان كثير الرواية عن العرب ، ونوادره مشهورة توفى سنة ٢١٥ هـ •

وثالثها - انه لو كان المسح بمعنى الغسل يسقط الاستدلال على الغسل بخبر انه - صلى الله عليه وسلم غسل رجله ، لأنه على هذا يمكن أن يكون مسحها ، فسمى غسلا .

ورابعها - ان استشهاد ابي زيد بقولهم : تمسحت للصلاة لا يجدى نفعا ، لاحتمال انهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ، ولم يجز أن يقولوا : تغسلت للصلاة ، لأن ذلك يوهم الغسل ، قالوا بداهة : تمسحت لأن المغسول من الأعضاء مسح أيضا ، فتجاوزوا بذلك تعويلا على فهم المراد ، وذلك لا يقتضى أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل .

وأجيب عن الأول - باننا لا ننكر اختلاف فائدة اللفظين لغة وشرعا ، ولا تفرقة الله تعالى بين المغسول والمسح من الأعضاء ، لكننا ندعى أن حمل المسح على الغسل فى بعض المواضع جائز ، وليس فى اللغة والشرع ما ياباه ، على أنه قد ورد ذلك فى كلامهم .
وعن الثانى - باننا نقدر لفظ امسحوا قبل أرجلكم - أيضا - واذا تعدد اللفظ فلا بأس بأن يتعدد المعنى ولا محذور فيه .

وقد نقل شارح زبدة الأصول من الامامية ان هذا القسم من الجمع يبين الحقيقة والمجاز جائز بحيث يكون ذلك اللفظ فى المعطوف عليه بالمعنى الحقيقى ، وفى المعطوف بالمعنى المجازى .

وقالوا فى آية « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل » (٣٠) .

ان الصلاة فى المعطوف عليه بالمعنى الحقيقى الشرعى - وهو الأركان المخصوصة - وفى المعطوف بالمعنى المجازى وهو المسجد ، فإنه محل الصلاة .

وبذلك فسر الآية جمع من مفسرى الامامية وفقهائهم ، وعليه فيكون هذا العطف من عطف الجمل فى التحقيق ، ويكون المسح المتعلق بالرموس بالمعنى الحقيقى ، والمسح المتعلق بالأرجل بالمعنى المجازى .

(٣٠) النساء : ٤٣ .

ولا يشكّل أن في الآية حينئذ إبهاما - ويبيعد وقوع ذلك في
البتنزيل - لانا نقول : ان الآية نزلت بعدما فرض الوضوء ، وعلمه - عليه
الصلاة والسلام - روح القدس اياه في ابتداء البعثة بسنين ، فلا بأس
أن يستعمل فيها هذا القسم من الإيهام ، فان المخاطبين كانوا عارفين
بجهمية الوضوء ولم تتوقف معرفتهم بها على الاستنباط من الآية .

ولم تنزل الآية لتعليمهم ، بل سوقها لإبدال التيمم من الوضوء
والغسل في الظاهر ، والغالب فيما يذكر لذلك عدم البيان المشيع .

وعن الثالث - بأن حمل المسح على الغسل لداع لا يستلزم حمل
الغسل على المسح بغير داع ، فكيف يسقط الاستدلال ؟ سبحانه الله تعالى
هذا هو العجب العجاب .

وعن الرابع - بأننا لا نسلم أن العدول عن تغسلت لإيهامه الغسل ،
فان تمسحت يوهم ذلك أيضا بناء على ما قاله من أن المغسول من الأعضاء
ممسوح أيضا ، سلمنا ذلك لكننا لم نقتصر في الاستشهاد على ذلك ويكفي
مسح الأرض المطر في الفرض .

الوجه الثاني - أن يبقى المسح على الظاهر ، وتجعل الأرجل
على تلك القراءة معطوفة على المغسولات ، كما في قراءة النصب ، والجر
للمجاورة .

وقد سبق رد هذا قول عند بداية كلام الألوسى المتقدم .

وبعد . . . فإنا أرى أن ما ذهب إليه الزجاج والنحاس وأبو حيان
والألوسى - من وجوب تنزيله كلام الله تعالى عن مثل ظاهرة الجر على
الجوار في العطف - هو الحق الذي يجب أن نتبعه ، فان القرآن الكريم
ما ينبغي أن يقال في شأنه مثل ذلك .

ثم ان الجر على الجوار انما يصادر اليه حيث حصل الأمن من
اللبس ، وفي الآية الأمن من اللبس غير حاصل ، فقد يوهم بأن الأرجل
ممسوحة لا مغسولة .

وجمهور العلماء على أن الجر على الجوار انما يكون بدون حرف

العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب ، إذ أن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة .

وعلى ذلك فإن قراءة من قرأ (وارجلكم) بجر اللام ، إنما هي بالمعطف على قوله (برءوسكم) على أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل .
وقال أبو زيد الأنصاري : المسح خفيف الغسل .

وكان أبو زيد من الثقات الأثبات في نقل اللغة ، وهو من شيوخ سيبويه .

والذي يدل على ذلك قولهم : تمسحت للصلاة أى فوضأت والوضوء يشتمل على ممسوح ومغسول .

والسر في ذلك أن المتوضئ لا يقنع بصب الماء على الأعضاء حتى يمسحها مع الغسل ، فلذلك سمي الغسل مسحاً ، فالرأس والرجل ممسوحان ، إلا أن المسح في الرجل المراد به الغسل لبيان السنة ، ولولا ذلك لكان محتملاً .

والذي يدل على أن المراد به الغسل ورود التصديد في قوله (الى الكعبين) والتصديد إنما جاء في المغسول لا في الممسوح .

وقيل بالجر على الجسوار في العطف في « وحور عين » من قوله تعالى :

« والسابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرن موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين » (٣١) .

في النشر (٣٢) : قرأ الجمهور برفع (وحور عين) وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بخفض الاسمين .

(٣١) آية : ١٠ - الى ٢٢ من سورة الواقعة .
(٣٢) انظر طيبة النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٥٤ .

وبسبب قراءة الخفض وقع الخلاف بين العلماء ، فمنهم من قال :
ان قوله تعالى (وحوور عين) بالجر معطوفة على قوله (بأكواب) فيكون
الجر على الاتباع فى اللفظ ، وان اختلف المعنى ، وهذا هو الجسر على
الجوار ، وممن ذهب الى ذلك الفراء والعكبرى .

ومنهم من قال بعطف (وحوور عين) على (جنات) فيكون العطف
باللفظ والمعنى ، وعليه فالمسألة ليست من باب المجاورة .
ومن هؤلاء الزمخشري فى أحد قوليه ، والألوسى .

أولا - القائلون بالعطف على اللفظ دون المعنى :

قال الفراء فى معانى القرآن : قرأ أصحاب عبد الله (وحوور عين) .
بالجر ، وهو وجه العربية ، وان كان أكثر القراء على الرفع ، لانهم
هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاق بهن ، فرفعوا على قولك : ولهم
حور عين ، أو عندهم حور عين .

والخفض على أن تتبع آخر الكلام بأوله ، وان لم يحسن فى آخره
ما حسن فى أوله ، أنشدنى بعض العرب :

٢٨ - اذا ما الغاينيات برزن يوما

وتزججن الحواجب والعيوننا (٣٣)

- ٣٣ -

فالعين لا تزجج وانما تكحل ، فردها على الحواجب ، لأن المعنى
يعرف .

وأنشدنى آخر :

ولقيت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحا (٣٤)

(٣٣) البيت للراعى النميرى ، وانظر الدرر اللوامع ١ : ١٩١ .
(٣٤) يروى الشطر الأول هكذا
يا ليت زوجك قد غدا
والبيت لعبد الله الزبيرى ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد
رقم (٢٤) .

وأنشدني بعض بني دبير:

علفتها تبنا وماء باردا حتى شئت همالة عيناها (٣٥)

والماء لا يعتلف ، إنما يشرب ، فجعله تابعا للتبن .

ولقد كان ينبغي لمن قرأ « وحوور عين » بالرفع - أن يقول (وفاكهة ولحم طير) ، لأن الفاكهة واللحم لا يطاف بهما ، فلا يطاف الا بالخمير وحدها (٣٦) .

وقال العكبري في التبيان عند اعراب هذه الآية (قوله تعالى « وحوور عين » على قراءة الجر معطوف على قوله (بأكواب وأباريق) . والمعنى مختلف اذ ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين) .

ثانيا - القائلون بالعطف على اللفظ والمعنى :

قال الزمخشري في الكشاف (٣٧) : (قريء (وحوور عين) بالرفع على وفيها حور عين ، وبالجر عطا على (جنات النعيم) كأنه قال : هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحوور .

أو على (أكواب) لأن معنى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب) ينعمون بأكواب) .

وقال الألويسي في روح المعاني (٣٨) : (وقرأ السلمي والحسن والأعمش والكسائي (وحوور عين) بالجر .

وخرج على العطف على (جنات النعيم) وفيه مضاف محذوف ، كأنه قيل : في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور .

ونذهب الى العطف المذكور الزمخشري ، وتعقبه أبو حيان فقال : فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط ببعضه ببعض ، وهو فهم أعجمي . وليس كما قال كمالا يخنى) .

-
- (٣٥) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٧) .
(٣٦) انظر معاني القرآن للفراء ٣ : ١٢٣ - ١٢٤ .
(٣٧) انظر الكشاف ٤ : ٥٤ .
(٣٨) انظر روح المعاني ٢٧ : ١٣٨ .

وما ذهب اليه الزمخشري والألوسی من أن قوله تعالى (وحوور عين)
- بالجر - قد عطف على قوله (جنات النعيم) هو الراجع .

وذلك لما يأتي :

أولا - أن العطف في مثل هذه الحالة يكون باللفظ والمعنى ، وعليه
فلسنا بحاجة الى تقدير وتأويل .

ثانيا - أن العطف على قوله تعالى (بأكواب وأباريق) إنما يكون
في اللفظ دون المعنى ، لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالأكواب .

ثالثا - إذا كان الجمهور قد رفضوا الجر على الجوار في قوله
(وأرجلكم) .

من قوله تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين)(٣٩)
وذلك بسبب وجود حاجز بين المعطوف والمعطوف عليه وهو الواو .

فمن باب أولى يكون عطف (وحوور عين) - بالجر - على (بأكواب
وأباريق) أشد امتناعا ، إذ أن الفاصل هنا أكثر من جملة ، وهو مانع من
الجر على جوار ، أو على الأقل يضعفه .

ما يندرج تحت حكم المجاورة :

مما يعطى حكم المجاورة ، صرف ما لا ينصرف للتناسب ومن ذلك
قوله تعالى :

« انا أعتقدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرا » (٤٠) .

قال النحاس(٤١) : (والحجة لمن نون (سلاسلًا) ما حكاه الكسائي
وغيره من الكوفيين أن العرب قد تصرف كل ما لا ينصرف إلا أفعل
منك(٤٢) فهذه حجة .

(٣٩) من الآية : ٦ من سورة المائدة .
(٤٠) آية : ٤ من سورة الانسان .
(٤١) انظر اعراب القرآن للنحاس ٣ : ٥٧٣ .
(٤٢) يريد (أفعل التفضيل) .

وحجة أخرى أن بعض أهل النظر يقول : كل ما يجوز في الشعر
فهو جائز في الكلام ، لأن الشعر أصل كلام العرب .

وحجة ثالثة - نه لما كان الى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول
الثاني) .

وقال الزمخشري(٤٣) : (وقرىء (سلاسل) بالتثوين ، وفيه وجهان :

أحدهما - أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ، ويجرى
الوصل مجرى الوقف .

والثاني - أن يكون صاحب قراءة التثوين ممن ضرى برواية
الشعر ، وممن لسانه على صرف غير المنصرف) .

وقال الألوسى(٤٤) : (وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر والأعمش
(سلاسل) بالتثوين وصلا ، وبالألف المبدله منه وقفا .

وبعد ذلك اعترض على الزمخشري الذي جوز وجهين في
التثوين :

أحدهما - أن تكون هذه النون بدلا عن حرف الاطلاق ، ويجرى
الوصل مجرى الوقف .

والثاني - أن يكون صاحب القراءة ممن ضرى برواية الشعر ،
وممن لسانه على صرف غير المنصرف .

وقد ضعف الألوسى الوجهين السابقين :

أما الأول - فان الأبدال من حروف الاطلاق في غير الشعر قليل
كيف وضم اليه اجراء الوصل مجرى الوقف .

وأما الثاني - ففيه تجويز القراءة بالتشهي دون سداد وجهها
في العربية .

والوجه : أنه لقصد الازدواج والمشاكله) .

(٤٣) انظر الكشاف ٤ : ١٩٥ .

(٤٤) انظر روح المعاني ٢٩ : ١٥٣ .

المبحث الثاني

الجر على الجوار في النعت

الجر على الجوار في النعت في القرآن محل خلاف - أيضا - بين العلماء ، فمنهم من أجازة ، ومنهم من منعه .

فمن أجاز : الفراء والعكبري ، ومن منع ابن جنى والنحاس والألوسي .

ومن الآيات التي ظاهرها يفيد الجر على الجوار في النعت قوله تعالى :

« والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير إني

أخاف عليكم عذاب يوم محيط » (١) .

قال العكبري (٢) : (ومن الجوار في الصفات قوله « عذاب يوم محيط » واليوم ليس بمحيط ، وإنما المحيط العذاب) .

وقال الألوسي (٣) : (والحاصل أن احاطة اليوم تدل على احاطة كل ما فيه من العذاب ، وأما احاطة العذاب على قوم فقد يكون بأن يصيب كل فرد منهم نوعا من أنواع العذاب .

وأما فيما نحن فيه ، فيدل على احاطة أنواع العذاب المشتمل عليها اليوم بكل فرد . ولا شك في ابلغية هذا .

وقال بعض المحققين في بيان ابلغية : ان اليوم زمان لجميع

(١) هود : ٨٤ .

(٢) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ .

(٣) انظر روح المعاني ١٢ : ١١٥ .

الحوادث ، فيوم العذاب زمان جميع أنواع العذاب الواقعة فيه ، فاذا كان محيطا بالمعذب فقد اجتمع أنواع العذاب له .

ومن ذلك قول الشاعر :

٢٩ - ان المسروعة والسماحة والنسدى

في قبسة خسريت على ابن الحشرج

فان وقوع العذاب في اليوم ، كوجود الأوصاف في القبة .

وجعل اليوم محيطا بالمعذب كضرب القبة على المدوح ، فكما ان هذا كناية عن ثبوت تلك الأوصاف له كذلك ذلك كناية عن ثبوت أنواع العذاب للمعذب) .

وقال الزمخشري(٤) : (فان قلت : وصف العذاب بالاحاطة ابلغ أم وصف اليوم بها ؟

قلت : بل وصف اليوم بها ، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه) .

وقال تعالى « مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد » (٥) .

قال الفراء(٦) : (وقال تعالى « في يوم عاصف » فجعل العصف تابعا لليوم في اعرابه ، وانما العصف للريح ، وذلك جائز على جهتين :

احدهما - ان العصف وان كان للريح فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز ان تقول : يوم عاصف ، كما تقول : يوم بارد ، ويوم حار ، وقد انشدني بعضهم :

(٤) انظر الكشاف ٢ : ٢٨٥ .

(٥) آية : ١٨ من سورة ابراهيم .

(٦) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٣ وما بعدها .

٣٠ - يومين غيمين ويوما شمسا

- فوصف اليومين بالغيمين ، وانما يكون الغيم فيهما ،
- والوجه الآخر - أن يريد في يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح ، لأنها قد ذكرت أول الكلمة .

قال الشاعر :

فيضحك عرفان الدروع جلودنا

إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف

- يريد كاسف الشمس فهذان وجهان .

- وأن نويت أن تجعل (عاصف) من نعت الريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم أتبعته اعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض إذا أشبهه) .

وقال العكبري(٧) : (ومن الجوار في الصفات قوله تعالى « في

- يوم عاصف » ، واليوم ليس بعاصف ، وانما العاصف الريح) .

وقال النحاس(٨) : (قوله تعالى « في يوم عاصف » على النسب

- عند البصريين بمعنى ذى عاصف ، ثم ذكر قول الفراء المتقدم ، وجوازه أن يكون (عاصف) صفة ليسوم بمعنى في يوم عاصف ، أو صفة للريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم أتبعته اعراب اليوم وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض .

وبعد ذلك رد النحاس على كلام الفراء المتقدم قائلا : هذا مما

- لا ينبغي أن يحمل كتاب الله - جل وعز - عليه .

وقد ذكر سيبويه أن هذا من العرب غلط ، واستدل بأنهم إذا ثنوا

- قالوا : هذان جحرا ضب خربان ، لأنه قد استبان بالتثنية والتوحيد) .

(٧) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ .

(٨) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢ : ١٨١ .

وقال الألوسي(٩) : (وقيل : ان (عاصف) صفة (الريح) الا انه جر على الجوار .

وفيه انه لا يصح وصف الريح به ، لاختلافهما تعريفاً وتنكيراً) .

ومن الجر على الجوار فى الصفة قوله تعالى :

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (١٠) .

وقد اختلفت كلمة الفراء حول هذه الآية ، فعندما كان فى معرض الحديث عن معنى قوله تعالى «اشتدت به الريح فى يوم عاصف» (١١) أجاز جر (عاصف) على الجوار ، وان كانت صفة للريح ، وأضاف قائلاً : ومما يرويه نحويونا الأولون ان العرب تقول : هذا حجر ضرب خرب بجر (خرب) والوجه الرفع .

ثم استدل على ذلك بقوله : وقد ذكر عن يحيى بن وثاب انه قرأ « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » فخفض (المتين) وبه اخذ الأعمش ، والوجه ان يرفع (المتين) (١٢) .

ويفهم من استدلال الفراء المتقدم انه اجاز ان يكون (المتين) بالجر صفة لقوله تعالى (الرزاق) وكان حقها الضم الا انها جرت مجاورتها المجرور .

وعندما تكلم عن قوله تعالى « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وجدناه لم يتعرض لظاهرة المجاورة ، ووجه قراءة جر (المتين) على انها صفة لقوله تعالى (القوة) .

قال الفراء فى معانى القرآن (١٣) : (قرأ يحيى بن وثاب (المتين) بالمخفض جعله من نعت (القوة) وان كانت أنشئ فى اللفظ ، فانه ذهب الى الحيل والى الشيء المفتول .

(٩) انظر روح المعانى ١٣ : ٢٠٤ .

(١٠) آية : ٥٨ من سورة الذاريات .

(١١) من الآية : ١٨ من سورة ابراهيم .

(١٢) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ .

(١٣) انظر معانى الفراء ٣ : ٩٠ .

أنشدنى بعض العرب :

٣١ - لكل دهر قد لبست أثوبا من ربيعة واليمنة المعصبا (١٤)

فجعل المعصب نعنا لليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة
ضرب وصنف من الثياب فذهب اليه) .

وقال ابن جنى (١٥) : (قرأ يحيى والأعمش « ذو القوة المتين »
ويحتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون وصفا للقوة فذكره على معنى الحبل ، يريد
قوى الحبل ، لقوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (١٦) .

والآخر - أن يكون أراد الرفع وصفا للرزاق ، إلا أنه جاء على لفظ
القوة لجوارها إياه على قولهم : هذا جحر ضب خرب .

وعلى أن هذا فى النكرة - على ما فيه - أسهل منه فى المعرفة ،
وذلك أن النكرة أشد حاجة الى الصفة ، فيقدر قوة حاجتها اليها تتشبهت
بالاقرب اليها ، فيجوز هذا جحر ضب خرب ، لقوة حاجة النكرة الى
الصفة .

فأما المعرفة فتقل حاجتها الى الصفة فبسبب ذلك لا يسوغ التشبهت
بما يقرب منها لاستغنائها فى غالب الأمر عنها ، إلا ترى أنه قد كان
يجب ألا توصف المعرفة ، لكنه لما كثرت المعرفة تداخلت فيما بعد ،
فجاز وصفها ، وليس كذلك النكرة ، لأنها فى أول وضعها محتاجة الى
الصفة لابهامها .

(١٤) قاله معروف بن عبد الرحمن ، وقيل : حميد بن ثور ،
ويروى عجزه :

حتى اكتسى الرأس قناعا أشهبها

و (الريطة) الملاءة اذا كانت قطعة واحدة . والمعصب : المعمم الذى
يحيط بالرأس .

وانظر الأشمونى ٤ : ١٢٢ .

(١٥) راجع المحتسب ٢ : ٢٨٩ .

(١٦) من الآية : ٢٥٦ من سورة البقرة .

فن قلت : ان (القوة) مؤنثة ، و (المتين) مذكر فكيف جاز أن تجريها
عليها على الخلاف بينهما ؟ !

قيل : قد تقدم أن القوة هنا انما الفهوم منها الحبل على ما تقدم ،
فكأنه قال : ان الله هو الرزاق ذو الحبل المتين وهذا واضح .

وأیضا فان (المتين) فعيل ، وقد كثر مجيء فعيل مذكرا وصفا للمؤنث،
كقولهم : حلة خصيف(١٧) ، وناقاة حسير(١٨) .

وقال الألوسى(١٩) : (وقرأ الأعمش وابن وثاب (المتين) بالجر .
وخرج على أنه صفة (القوة) .

وجاز ذلك مع تذكره ، لتأويلها بالافتداز ، أو لكونه على زنه
المصادر التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لاجرائه مجرى فعيل
بمعنى مفعول) .

وبعد . . . فقد عرضنا اقوال العلماء فيما يتعلق بالجر على
الجوار في النعت ، وعرفنا أن منهم من أجاز ، ومنهم من منع .

وانا أؤيد وأرجح رأى من منع على أساس ان الجر على الجوار
لا ينبغي أن يكون فى كلمات الله - عز وجل - .

وأیضا فان المعنى يكون واضحا وظاهرا من غيب اللجوء الى مثل
هذه الظاهرة ، ففي الآيات المتقدمة اذا جعلنا (محيط) فى الآية الأولى
صفة لقوله تعالى (يوم) فان الكلام يكون صحيحا ، بل ان ذلك أبلغ من
جعله صفة للعذاب ، كما تقدم .

وكذا يصح لنا أن نجعل (عاصف) فى الآية الثانية صفة لقوله
(يوم) فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، أو أن يجعل (عاصف)
على النسب بمعنى ذى عاصف .

(١٧) حلة خصيف : ذات لونين : أبيض وأسود .

(١٨) ناقاة حسير : مجهدة .

(١٩) انظر روح المعانى ٢٧ : ٢٤ .

وفى الآية الثالثة يصح المعنى بجعل (المتين) على قراءة الجر صفة
لقوله تعالى (القوة) على أن (القوة) بمعنى الحبل ، أو بمعنى الاقتدار ،
أو كونه من الأوصاف التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لاجرائه مجرى
فعل بمعنى مفعول .

وبالإضافة الى ما تقدم نجد أن (الريح) معرفة ، و (عاصف) نكرة ،
والمعرفة لا توصف بنكرة .

المبحث الثالث

الجوار بين الواو والضمة

يترتب على مجاورة الواو للضمة التي قبلها قلب الواو همزة - جوازا - على تقدير أن هذه الواو لما جاورت المضموم فكان الضمة فيها . والنحاة يبدلون من الواو المضمومة همزة ، كما قالوا في وجوه أجوه ، وهذا قياس نحوي محل اتفاق بين جمهور العلماء ، فما جاء منه في القرآن يكون مقبولا وسائغا .

ومن الآيات التي وردت في ذلك :

قوله تعالى :

« الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة

هم يوقنون » (١) .

قال الزمخشري (٢) : (قرأ أبو حية النميري (يوقنون) بالهمزة ، جعل الضمة في جار الواو ، وكأنها فيه ، فقلبها قلب واو (وجوه)) .

وقال أبو حيان (٣) : (قرأ الجمهور (يوقنون) بواو ساكنة بعد الياء ، وهي مبدلة من ياء ، لأنه من أيقن .

وقرأ أبو حية النميري بهمزة ساكنة بدل الواو ، وذكر أصحابنا أن هذا يكون في الضرورة . ووجه هذه القراءة بأن هذه الواو لما جاورت المضموم فكان الضمة فيها ، وهم يبدلون من الواو المضمومة همزة فقد

(١) آية : ٤ من سورة البقرة .

(٢) الكشاف ١ : ١٣٨ .

(٣) البحر ١ : ٤٢ .

قالوا فى وجوه و وقتت : أجوه و أقتت ، فأبدلوا من هذه همزة ان قدروا الضمة فيها) .

وقال الألوسى(٤) : (وقرأ النميرى (يؤقنون) بهمزة ساكنة بدل الواو . وشاع عندهم أن الواو اذا ضمت ضمة غير عارضة ، كما فصل فى العربية يجوز ابدالها همزة ، كما قيل فى وجوه جمع وجه (أجوه) .

فلعل الابدال هنا مجاورتها للمضموم فأعطيت حكمة) .

ومن ذلك قوله تعالى :

« ردها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق »(٥) .

قال الزمخشري(٦) : (من ترأ (بالسوق) فقد جعل الضمة فى السدين كأنها فى الواو للتلاصق ، كما قال الشاعر :

أحب المؤقدين الى مؤسى(٧)

وقال الألوسى(٨) (قرأ ابن كثير (بالسوق) بهمزة ساكنة ، قال أبو على : وهى ضعيفة لكن وجهها فى القياس ان الضمة لما كانت تلى الواو قدر انها عيلها كما يفعلون بالواو المضمومة حيث يبدلون همزة . ووجهها من القياس أن أباحية النميرى كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة) .

وأنا أرى أن همز الواو فى المواضع المتقدمة جائز ومتفق مع القياس، وهذا ما ذهب اليه الجمهور ، فلعل الابدال هنا بسبب مجاورة الواو الضمة وكانوا ينشدون فى هذا المعنى قول الشاعر :

-
- (٤) انظر روح المعانى ١ : ١٢٢ .
 - (٥) آية : ٣٣ من سورة ص .
 - (٦) انظر الكشاف ٢ : ٣٧٤ .
 - (٧) المذكور صدر بيت تقدم الكلام عليه عند الشاهد رقم (٢٣) .
 - (٨) انظر روح المعانى ٢٣ : ١٩٨ .

٣٢ - قد يؤخذ الجار يظلم الجار(٩)

وبعد ٠٠٠ فأرجو أن أكون قد وفقت في اعطاء هـ.ذا الموضوع
حقه من البحث والمناقشة ، فان أكن كذلك فبتوفيق الله ، وان تكن الأخرى
فحسبى في ذلك اننى بشر أطمع في رحمة الله ، انه نعم المولى ونعم
المجيب .

(٩) المذكور رجز أنشده أبو على وقال في الخصائص ٢ : ١٧١
(يحكى أن أعرابيا أراد امرأة له ، فقالت له : انى حائض ، فقال فإين
الزينة الأخرى ، فقالت له اتق الله ، فقال :
كلا و رب البيت ذى الاستار لأهتكن خلق الحتار
قد يؤخذ الجار بجرم الجار
والهنة : المرأة - الحتار : حلقة الدين .

فهرس الشواهد الشعرية

رقم الشاهد :

- ٣١ - لكل دهر قد لبست أثوبا
من ربطة واليمنة العصبا
- ٨ - يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب
- ٢٩ - ان المروءة والسماحة والندى
فى قبسة ضربت على ابن الحشرج
- ١٢ - كأنما ضربت قدام أعينها
قطننا بمستحصد الأوتار محلوج
- ٢٤ - يا ليت زوجك قد غدا
متقلدا سيفا ورمحنا
- ٢٣ - احب المؤقنين الى موسى
وجعدة اذا أضاءهما الوقود
- ٦ - فجئت اليه والرمح تنوثة
كوقع الصياصى فى النسيج الممدد
فدافعت عنه الخيل حتى تبددت
وحتى علانى حالك اللون أسود
- ٢١ - انارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا
- ١٢ - لعب السرياح بها وغيرها
بعدى سسوافى المور والقطر

رقم الشاهد :

- ١٧ - لما أتى خبر الزبير تضعضعت
سور المدينة والجبال الخشع
- ٢٢ - ومعرض تغلى المراحل تحته
بادرت طبختها لرهط جيع
- ٢ - ويضحك عرفان الدروع جلودنا
إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف
- ٩ - السالك الثغرة اليقظان كالثها
مشى الهلوك عليها الخيعل الخضيل
- ٧ - كأن أبانا فى عسرازين وبيله
كبير الناس فى يحداد زميل
- ١٤ - فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
- ١٠ - حتى تهجر فى الرواح وماجها
طلب المعقب حقه المظلوم
- ١٥ - ولكن نصفا لو سببت وسبني
بنو عبيد شمس من مناف وهاشم
- ١٨ - وتشرق بالقول الذى قد انعته
كما شرفت صدر القنائة من الدم
- ١٩ - مشين كما اهتزت رماح تسفوت
اعاليها مر السرياح النواسم
- ٢٠ - جادت عليه كل عين ثرة
فترك من كل حديقة كالدرهم
- ١١ - قد كنت داينت بها حسانا
مخافة الافلاس والليانا

- ٢٨ - اذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا
- ٢٥ - مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعسب الا ببين غرابها
- ٥ - على هطا لهم منهم بيوت
كان العنكبوت هو ابتناها
- ٢٧ - علفتها تبننا ومساء باردا
حتى شتت همالة عيناهما
- ٢٦ - بدالى انى لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئا اذا كان جائيا
- ٣ - فايكم وحيية بطن واد
هموز النساب ليس لكم بسى
- ١ - وكنت اذا جارى دعا لمضوفة
اشمر حتى ينصف الساق مئزرى
- ١٦ - ولكنما اسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

انصاف الأبيات

- ٣٢ - قد يؤخذ الجار بظلم الجار
- ٣٠ - يومين غيمين ويوما شمسنا
- ٤ - كان نسج العنكبوت المرمل

مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - اعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - تحقيق در زهير غازي زاهد - مطبعة العاني - بغداد .
- ٣ - الأمالي الشجرية - دار المعرفة - بيروت .
- ٤ - الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٨٢م .
- ٥ - البحر المحيط لأبي حيان .
- ٦ - التبيان في اعراب القرآن لأبي البقاء العكبري - تحقيق محمد علي البيحاوي - مكتبة الحلبي .
- ٧ - تفسير روح المعاني للألوسي - بيروت - احياء التراث العربي .
- ٨ - تفسير القرطبي .
- ٩ - حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية - مطبعة الحلبي .
- ١٠ - الخصائص لابن جني - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت .
- ١١ - دراسات لاسلوب القرآن الكريم تأليف الأستاذ محمد عبد الخالق عزيمة - مطبعة السعادة .
- ١٢ - ديوان الأعشى - طبعة بيروت .
- ١٣ - ديوان الحطيئة - شرح أبي سعيد السكري - بيروت .
- ١٤ - ديوان دريد بن الصمة - تحقيق - محمد خير البقاي - مكتبة دار قتيبة ١٩٨١م .

- ١٥ - ديوان ندى الرمة - الطبعة الأولى .
- ١٦ - ديوان العجاج - تحقيق - عبد الحفيظ السلطى - دمشق .
- ١٧ - ديوان الغرزدق - المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٨ - ديوان لبيد - بيروت ١٩٦٦ م .
- ١٩ - ديوان الهذليين - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٥ م .
- ٢٠ - سر صناعة الاعراب لابن جنى النحوى - تحقيق - مصطفى السقا وزملائه - الطبعة الأولى .
- ٢١ - شذور الذهب فى معرفة كلام العرب - لابن هشام - تحقيق - الشيخ عبد المتعال الصعدي - مكتبة صبيح .
- ٢٢ - شرح أبيات سيبويه السيرافى - تحقيق - محمد على سلطانى - بيروت .
- ٢٣ - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - نسخة مصورة على الميكروفيلم - موجودة فى المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) .
- ٢٤ - شرح ديوان زهير تايف - محمد اسماعيل الصاوى - دار الأندلس - بيروت .
- ٢٥ - شرح ديوان زهير - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٤٤ م .
- ٢٦ - شرح الرضى لشواهد الشافية - القسم الثانى - تحقيق - محمد نور الحسن وزميلييه - دار الكتب العلمية - لبنان .
- ٢٧ - شرح الرضى لكافية ابن الحاجب - لبنان .
- ٢٨ - شرح التذمة السائد التسع المشهورات للانحاس - تحقيق - احمد الخراط - طبعة بغداد .
- ٢٩ - شرح الكافية الشافية لابن مالك - تحقيق الدكتور عبد المنعم احمد هريدى - مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى - مكة .

- ٣٠ - الصحاح للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .
- ٣١ - الكتاب لسيدويه - تحقيق - ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين
الطبعة الأولى .
- ٣٢ - الكشاف للزمخشري - دار المعرفة - لبنان .
- ٣٢ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - لمكى بن
ابى طالب - تحقيق الدكتور محى الدين رمضان - مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ٣٤ - مجاز القرآن لأبى عبيدة - تحقيق الدكتور محمد فؤاد - مكتبة
دار الفكر .
- ٣٥ - المحتسب فى تبين وجوه القراءات لابن جنى - تحقيق على
النجدى ناصف وزميليه - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- ٣٦ - معانى القرآن للأخفش - تحقيق الدكتور فائز فارس .
- ٣٧ - معانى القرآن المفراء - مطبعة عالم الكتب - بيروت .
- ٣٨ - معانى القرآن واعرابه للزجاج - تحقيق الدكتور عبد الجليل
شلبى - مشروع احياء التراث الاسلامى .
- ٣٩ - مفنى اللبيب لابن هشام - تحقيق الشيخ محمد محى الدين
عبد الحميد .
- ٤٠ - المقتضب للمبرد - تحقيق الأستاذ أحمد عبد الخالق عضيمة
عالم الكتب - بيروت .
- ٤١ - المنصف (شرح تصريف المازنى) لابن جنى - تحقيق ابراهيم
مصطفى وعبد الله أمين الطبعة الأولى .
- ٤٢ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - المكتبة التجارية
الكبرى .
- ٤٣ - همع الهوامع - شرح جمع الجوامع للسيوطى - تحقيق -
عبد العال سالم مكرم - دار البحوث العلمية الكويت .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	١ - المقدمة
٧	٢ - التمهييد
٩	٣ - الفصل الأول : موقف العلماء من المجاورة
١٧	٤ - الفصل الثاني : المجاورة فى الدراسات النحوية
٤٩	٥ - الفصل الثالث : المجاورة فى المسائل التصريفية
٥٧	٦ - الفصل الرابع : المجاورة فى القرآن الكريم
٨٥	٧ - فهرس الشواهد الشعرية
٨٩	٨ - ثبت بمراجع البحث

دار الثقافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل صدقى - الفجالة
تليفون ٩١٦٠٧٦ القاهرة

